جامعـة المنصــورة
كليـــة التربية
–

الفكر التربوي عند الإمام الليث بن سعد وتطبيقاته التربوية: دراسة تحليلية

إعداد

د / محمد عبد النبي أحمد المتولي
مدرس بقسم أصول التربية
كلية التربية بتفهنا الأشراف – جامعة الأزهر

د / محمد محمد على على خفاجي
مدرس بقسم التربية الإسلامية
كلية التربية بتفهنا الأشراف – جامعة الأزهر

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٣١ – يوليو ٢٠٢٥

الفكر التربوي عند الإمام الليث بن سعد وتطبيقاته التربوية: دراسة تحليلية

د / محمد عبد النبي احمد المتولي
مدرس بقسم أصول التربية
كلية التربية بتفهنا الأشراف – جامعة الأزهر

د / محمد محمد على على خفاجي
مدرس بقسم التربية الإسلامية
كلية التربية بتفهنا الأشراف – جامعة الأزهر

ملخص الدراسة باللغة العربية:

هدفت الدراسة إلى دراسة وتحليل شخصية الإمام الليث بن سعد (رحمه الله)، إمام أهل مصر، بوصفه رمز ملهمًا من رموز التجديد و المواطنة، والتسامح، والمسئولية الاجتماعية، ومعبرًا عن المدرسة المصرية الأصيلة في فقهها وحمايتها للوطن ونسيجه المجتمعي، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي، من خلال استقراء المصادر الإسلامية المعتبرة التي تناولت سيرة الإمام الليث وأقواله ومواقفه، بالإضافة إلى تحليل الدراسات الحديثة التي تطرقت إلى الجانب التربوي في فكره وممارساته، لاستنباط المبادئ والمضامين التربوية، واشتقاق تطبيقات تربوية تساهم في معالجة قضايا الواقع التربوي المعاصر، أثبتت نتائج الدراسة أن العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كان لها تأثير بالغ على حياة الليث بن سعد وفكره، وتأثيره الاجتماعي داخل المجتمع المصري، وقد أمكن استخلاص بعض التطبيقات التربوية منها: تنمية العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل والتناصح بين العلماء، ربط العلم بالمسئولية الاجتماعية وغرس أهمية استخدام المعرفة لنفع المجتمع، وتشجيع المشاركة المجتمعية، التربية على أدب الحوار واحترام الاختلاف، دعم وتقدير الطلاب والباحثين، دمج القيم الأخلاقية في المناهج وتعزيز بيئة تعليمية تُنمي هذه القيم، تشجيع الطلاب على البحث من مصادر متنوعة، وبرامج التبادل الثقافي، تعزيز التفكير النقدي والاجتهاد وتنمية التفكير المستقل، وأوصت الدراسة المعلمين والمربين على استلهام مبادئ منهج الإمام الليث وتطبيقها في ممارساتهم التربوية، وإجراء المزيد من الدراسات المتعمقة حول الجوانب التربوية في حياة وفكر الأئمة الأعلام كالإمام الليث، لتقديم نماذج تطبيقية للمربين والمعلمين.

الكلمات المفتاحية: *(الفكر التربوي _ الليث بن سعد _ التطبيقات التربوية).*

Abstract

This research aimed at studying and analyzing the personality of Imam Al-Layth Ibn Saad (May Allah have mercy on him) the Imam of Egypt's people, as an inspiring symbol of renewal, citizenship, tolerance, and social responsibility, and an expression of the authentic Egyptian school in its jurisprudence and protection of the homeland and its social fabric. The study adopted the descriptive analytical approach, through the induction of the reliable Islamic sources that dealt with the biography of Imam Al-Layth, his sayings and positions, in addition to analyzing recent studies that addressed the educational aspect of his thought and practices, to deduce educational principles and contents, and to derive educational applications that contribute to addressing the issues of contemporary educational

reality. Results of the research proved that political, social, economic and cultural factors had a profound effect on the life and thought of Al-Layth Ibn Saad, and on his social influence within Egyptian society. Some educational applications could be drawn from these: Enhancing human relations, mutual respect and advice among scholars, linking knowledge to social responsibility and instilling the significance of using knowledge to benefit society, encouraging society participation, educating on the etiquette of dialogue and respect for differences, supporting and appreciating students and researchers, integrating ethical values into curricula and fostering an educational environment that develops these values, encouraging students to research from diverse sources, and cultural exchange programs, promoting critical thinking, diligence and developing independent thinking. The research recommended that teachers and educators should draw inspiration from the principles of Imam Al-Layth's approach and apply them in their educational practices. Moreover, it recommended that further in-depth studies be conducted on the educational aspects of the lives and thoughts of prominent imams such as Imam Al-Layth, for providing practical models for educators and teachers.

Keywords: (*Educational Thought, Al-Layth Ibn Saad, and Educational Applications.*).

مقدمة

تمثل التربية الدرع الحصين للمجتمعات من فقدان هويتها الحضارية، كونها حلقة الوصل بين تراث الماضي وازدهار المستقبل، حيث تقوم ممثلة في المؤسسات التعليمية والتربوية بالحفاظ على القيم الثقافية والتراث الثقافي للمجتمع، وتوضح المبادئ وتعمق المفاهيم وترسخ الاتجاهات، ولقد أسهم الفكر التربوي لعلماء المسلمين بصورة مباشرة في تطوير الحياة العلمية والعملية قديماً وحديثاً مما نتج عنه تطور العملية التربوية التي أسهمت في نشر الإسلام، والحفاظ على اللغة العربية، وتطوير العلوم المختلفة، وإنشاء المؤسسات التربوية والتعليمية، تلك المؤسسات التي خرجت العديد من العلماء والمفكرين والمربين في المجتمعات الإسلامية ممن كان لهم دور فاعل في بلورة الفكر التربوي الإسلامي وتوضيحه وفق المتغيرات البيئية والثقافية والمجتمعية. (باوزير، ٢٠٢٠، ٣٦٠)

وقد خلف علماء الإسلام في القرون الأُولى تراثًا شامخًا، و معرفة هذا التراث والاستفادة منه تفيد في تحديد هويتنا، وتبرز لنا ماضي وتجارب من سبقنا؛ حتى نتمكن من فهم حاضرنا ونقف على مشكلاته فنعالجها، ونستطيع التخطيط لمستقبلنا بشكل صحيح، فالشعوب التي لا ماضي لها لا حاضر ولا مستقبل لها، وتعجز عن تحديد هويتها؛ لذلك فإن التراث التربوي الإسلامي ملاذ نحتاج العودة إليه في ظل ذوبان هويتنا الثقافية، نأخذ عنه، ونستلهم منه، فنحن في عصر نهضة أو ارهاص نهضة، وليست عودتنا إلى تراثنا عيبًا؛ وإنما هي ضرورة حتمية، فإن كل أمة تريد أن تنهض بعد كبوة وتستيقظ عقب غفلة، يتحتم عليها أن تلتفت إلى ماضيها تأخذ منه وتنقل عنه.(الطويل، ١٩٦٨، ١٦)

هذا؛ وتزخر الحضارة العربية الإسلامية بالعديد من المفكرين والعلماء في مختلف المجالات وشتى التخصصات، حيث كان لهذه الحضارة إسهامات عديدة أمدت الفكر الإنساني بالكثير من الميزات وعلى مختلف الصعد، وبالعديد من المفكرين التربويين الذين كانت لهم إسهامات عديدة في خدمة الإسلام والمسلمين وسائر الأمم والشعوب الذين واكبوا تلك الحضارة العظيمة في عصورها الزاهرة. (كايد، ٢٠٠٥، ٢)

وقد ترك هؤلاء العلماء المسلمون تراثاً فكرياً وتربوياً غنياً يعكس صورة الماضي ويضيء طريق الحاضر والمستقبل، لذلك يجب الاستفادة من دراسة التراث الإسلامي للاستنباط من هذا الإرث العظيم وتحديد هوية الأمة الثقافية، وربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل، كما أن دراسة الآراء والمذاهب التربوية تتيح الفرصة لعلماء التربية في مواجهة مشكلات منظومة التربية، ومن ثم النهضة بالواقع الإسلامي التربوي. (القحطاني، ٢٠٢٤، ١٧٣)

ولكن هذا الفكر التربوي - عند مفكري المسلمين - مازال متفرقاً متناثرا في ثنايا كتب التراث، ويحتاج من الباحثين والدارسين الى استخراجه ودراسته وتحليله وكتابته بأسلوب مناسب يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ولإفادة الأجيال المسلمة بالمفاهيم اللازمة لبناء نظم تربوية تتفق مع عظمة الإسلام، وقد أراد الباحثان في هذه الدراسة أن يبرزا مكانة الإمام الليث بن سعد التعليمية وإسهاماته التربوية، بوصفه أحد الأئمة المشهورين الذين جمعوا بين التأصيل الشرعي والسبق التربوي، وقد عرف الليث بعلمه الغزير، واجتهاداته الفقهية الصائبة، وفتاواه النافعة، وبعدالته في القضاء.

ويعد موضوع المفكرين التربويين من الموضوعات الهامة التي لاقت إقبالا واضحاً واهتماما كبيرا من قبل الباحثين والدارسين بهدف الكشف عن جوانب الفكر التربوي لدى كل واحد منهم، ومدى امتداد أفكارهم في الواقع المعاصر اتفاقاً واختلافاً، وتعتبر هذه الدراسات جزءا أساسيا، ورديفاً قوياً للتربية الإسلامية، والتي تشكل العنصر الأساس للمجتمعات الإسلامية، وتمثل بمفهومها العام نظاماً له أسسه العقدية، والمعرفية والنفسية والاجتماعية وله نظرياته وإجراءاته الميدانية التي يتم اعتمادها منهجاً لتربية الفرد، وتكوين المجتمع، كما أنها وفق هذا المفهوم تعد مصدراً من مصادر حفظ هوية الأمة، ومعيناً تربوياً يوجه التربية توجيها إسلاميا يقيها مزالق الانحراف والضياع.(كايد، ٢٠٠٥، ٤)

وقد أوصى العديد من الباحثين بمواصلة البحث وإظهار الأفكار التربوية لعلماء الإسلام حتى نستلهم منهم الأفكار والرؤى والاستنباطات التربوية، فتراثنا الفكري مازال محتاجاً إلى قراءة واعية وعميقة للإلمام به وبمكوناته؛ ليكون اجتهادنا مبنياً على أساس الأصالة، فقد استهدفت دراسة(الكندري وآخرون ،٢٠١٠) رصد وتحليل المضامين التربوية لآراء الإمام الشافعي، واتبعت أسلوب تحليل المحتوى الكيفي لكتابين من كتب الشافعي وهما كتاب الأم، وكتاب الرسالة إضافة إلى الشعر والنثر المنسوب إليه، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن فلسفة الإمام الشافعي في تربية الفرد تقوم على التركيز على العلم وتعليمه مع مراعاة الفروق الفردية والاهتمام باللغة العربية وتربية الانسان بصورة متكاملة ومراعاة طبيعة المجتمع وواقعه، وتقوم التربية لدى الإمام الشافعي علي ركائز متعددة منها: الإيمان بالله، والرضا بالقضاء والقدر، واتباع الآداب والقيم السليمة ، والترغيب على خصال الخير، وكشف ما يجافي سنن العلم، كما شجع الشافعي علي الاجتهاد، ونهى عن التأديب بالضرب وجعل حسن الخلق أساس التباحث وأوصت الدراسة بالحذر من عزل التراث وتفسيره في دائرة ضيقة، وتقديم دورات تدريبية للمعلمين لبيان أساليب الشافعي التربوية وتعريف الناشئة بأخلاق طالب العلم.

وللكشف عن معالم الفكر التربوي في القرن الثاني الهجري استهدفت دراسة (الشريف

٢٠١٢) التعرف على أهم العوامل والقوى المؤثرة فيه، وتحديد مسارات أو اتجاهات الفكر التربوي من خلال مدارسه الفكرية، والتعرف على أهداف وأسس وأساليب التربية وتحديد أهم قضايا التربية في القرن الثاني الهجري، أكدت الدراسة على أن معرفة أعلام المسلمين، ودراسة فكرهم وحركة عصرهم له أهمية خاصة في حث أبناء الأمة على تقدير أعلامهم والسير على خطاهم، وضرورة العناية بالأصول الإسلامية في تكوين النظام التربوي.

ومن أجل ترسيخ القيم والآداب التي يمليها الإسلام على أبنائه ويفرضها على العلماء وطلاب العلم وعلى أبناء المجتمع استهدفت دراسة (الأنسي، ٢٠١٥) الوقوف على بعض المبادئ العلمية الراسخة والآداب الرفيعة التي وردت في القرآن والسنة، وما أضافه العلماء عبر عصور الإسلام المختلفة، مع التركيز على القرون الهجرية الثلاثة الأولى التي هي خير القرون، ومنها القرن الثاني لتكون نبراساً مضيئاً يستفاد منه في الحياة العلمية في المؤسسات العلمية المعاصرة لتسير على منهج الإسلام في كل أمور الحياة، ومنها الحياة العلمية، وباستخدام المنهج التاريخي توصلت الدراسة إلى بعض المبادئ العلمية منها: مبدأ تقدير العلماء للعلم انطلاقا من معرفتهم لقدر ومكانة العلم والمسؤولية التي يفرضها العلم على حامليه، وانطلاقا من معرفتهم بقدر ومكانة ومسؤولية العلم جاء مبدأ تقدير العلماء لبعضهم من حفظ مكانة بعضهم لبعض وإحسان الظن من بعضهم لبعض، وثناء بعضهم على بعض، مما انعكس هذا التقدير من العلماء لبعضهم على تقدير المجتمع لهم، وأوصي الباحث جميع مؤسسات وهيئات الدولة وفي مقدمتها المؤسسات العلمية والبحثية بأن تعلي من شأن العلم والعلماء وأن تعمل جاهدة من خلال مؤسساتها الإعلامية والثقافية على إشاعة ثقافة المحبة والتعارف والتعاون والتسامح والتشارك بين العلماء لأن من شأن ذلك أن ينعكس إيجابا على سمعة ومكانة العلماء في الأوساط الاجتماعية.

واستهدفت دراسة(آل عايش ٢٠١٦) التعرف على معالم الفكر التربوي عند ابي الدرداء – رضي الله عنه – واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي وأسلوب تحليل المضمون، وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج منها: حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – جميعًا بالتعليم والتربية خاصة أبو الدرداء – رضي الله عنه – إذ وقف حياته على ذلك حتى أثمرت هذه الجهود التربوية بوجود نظام تربوي استفاد منه جميع أطياف المجتمع، شمولية الفكر التربوي عند أبي الدرداء لجميع جوانب الحياة، وكذلك اهتمامه بالتنشئة التربوية والاجتماعية والدينية للرجل والمرأة على حد سواء.

واستهدفت دراسة (الجبوري، ٢٠١٨) بيان إظهار تراث الإمام الليث بن سعد الفقهي، واحترام العلماء بعضهم البعض، وبيان أن الخلاف في المسائل الفقهية الاجتهادية موردها الظن لا القطع وهي مما يتسع الصدر فيها ولا يجعل الحرج علي الأمة فيها، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، ويدور محور الرسالة حول القيمة العلمية للرسائل التي كانت بين أهل العلم في العصور الأولي وما كان بينهم من مودة ورحمة رغم الاختلاف الاجتهادي بينهم، ولم يكن بينهم من عداوة ولا بغضاء ولا شحناء كما نراه اليوم في عصرنا، وقد توصلت الدراسة إلي أن رسالة الليث بن سعد إلي الإمام مالك نموذجا في النقاش العلمي الذي كان يدور بين أهل العلم ويتمثل في احترام أهل العلم لبعضهم البعض، واوصت الدراسة طلاب العلم بدراسة آراء الإمام الليث الفقهية والحديثية والعقدية فإن له في العلم باعا طويلاً وقد ضيعه تلاميذه المصريون؛ لذا أوصي المختصين بنفض الغبار عن آراءه وابرازها للناس كي يعرفوا قدر هذا الإمام الجليل.

واستهدفت دراسة (باوزير، ٢٠٢٠) بيان بعض ملامح الفكر التربوي الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين (دراسة تاريخية تحليلية)، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي، وأظهرت نتائج الدراسة وجود عدد من الاتجاهات الفكرية التي جاءت نتيجة ما أفرزه فكر الحضارة الإسلامية آنذاك مثل: المدرسة الفقهية، والحديثية، والمدرسة الصوفية، ومدرسة الأصوليين وعلم

الكلام، والمدرسة الفلسفية، والمدرسة السلفية والمدرسة التجريبية، إضافة إلى تنوع أساليبه التربوية التي تسهم باختصار الوقت والجهد على كل من المعلم والمتعلم، وكذلك تحفز المتعلم على الإقبال على المعرفة، كما تنظم العملية التعليمة فيسهل تطبيقها، كما أثبتت الدراسة قابلية تطبيق تلك الأساليب في كل زمان ومكان رغم اختلاف اتجاهات المدارس الفكرية؛ ذلك كونها نابعة من الفكر التربوي الإسلامي.

وقد هدفت دراسة (محمود، ٢٠٢٠) تحديد القواعد التي اتبعها الليث في رسالته للإمام مالك في الرد علي الفتاوي والقواعد التي يعتمدها الامام مالك خاصَّة حجية عمل أهل المدينة واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي وتوصلت الدراسة إلي أن الإمام الليث بن سعد لم يتبع مذهب فقهي، وقد خالف الإمام الليث الإمام مالك في كثير من الفتاوي التي اعتمد الإمام فيها قاعدة حجية عمل أهل المدينة واعتمد الليث فيها علي قواعد أولية مخالفة لعمل أهل المدينة، واوصت الدراسة بضرورة اهتمام الباحثين والعلماء بمثل هذه المراسلات التي تحتوي علي أدب جم للحوار واحترام أهل العلم لبعضهم وتوقيرهم ومراعاة منازلهم وانهم عند اختلافهم في الرأي يستخدمون الأدلة العلمية دون تعصب أو تكبر.

واستهدفت دراسة (صقر، ٢٠٢١) الكشف عن منهج الإمامين الليث بن سعد ومالك بن أنس في استنباط الأحكام الفقهية من خلال دراسة الرسائل العلمية المتبادلة بينهما، وبيان القيم الأخلاقية التي التزم بها الإمامان عند اختلافهما، والكشف عن أهم القضايا الفقهية للإمام الليث بن سعد، وخاصة بعد اختفاء بعض مؤلفاته، اعتمدت الدراسة منهج الموازنة من خلال الاستقراء والتحليل لاستخراج موقف الليث من الإمام مالك والعكس، وقد بينت الدراسة أن كلًا من الإمامين تأثر ببيئته مما نتج عنه فقه يناسب كل بيئة، كما نتج مرونة في فهم روح الدين وسمو الأدب في البحث والمناظرة، فلم يجرح أو يعنف كل منهما الآخر، وأن الاختلاف بين الإمامين كان يقوم على فقه الواقع والمصلحة، كما بينت أن منهج الإسلام دعوة للحياة وهي دعوة الليث من خلال اهتمامه بالأحاديث التي تحض على مكارم الأخلاق والتي ترسم صورة المجتمع الفاضل الذي تسوده العدالة والمودة والرحمة ويشعر الإنسان بأنه أخ للإنسان، وأن حماية الإسلام للمجتمع مقصد من مقاصد التشريع فيؤخذ من أقوال العلماء ما وافق الشرع ويرفض ما عداه.

واستهدفت دراسة(الفهد، ٢٠٢٣) التعرف علي الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وأسس التربية (العلمية والخلقية والاجتماعية) عنده، وسمات المعلم المهنية في فكره، والتطبيقات التربوية المستنبطة من فكره والمتعلقة بأهداف وأسس التربية في العملية التعليمية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الوثائقي والمنهج الاستنباطي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها: من أهداف التربية عند ابن عثيمين تعظيم القرآن والسنة، والحث على طلب العلم، والتخلق بالأخلاق الحميدة ، كما أظهرت النتائج أن من أسس التربية العلمية إخلاص العمل لله تعالى، وأن تقوى الله سبب لقوة الفهم التي يحصل بها زيادة العلم، ووجوب الرجوع إلى الحق حين يجده الإنسان، وأوصت الدراسة بأهمية التأصيل التربوي للتراث الإسلامي من خلال الاهتمام بدراسة مؤلفات الأعلام المسلمين، ودراسة الجوانب التربوية التي تحويها هذه المؤلفات وتطبيقها في جميع ميادين الحياة.

واستهدفت دراسة (القحطاني،٢٠٢٤) الكشف عن ملامح الفكر التربوي عند العز بن عبد السلام، واعتمدت على المنهجين التاريخي والاستنباطي، وقد عرض الباحث شخصية الإمام العز بن عبد السلام من خلال أربعة مباحث: الجانب الشخصي، العلمي، العملي، البيئة الاجتماعية، ثم تناول الباحث الأصول التربوية التي أمكن استخلاصها من الفكر التربوي للعز بن العبد السلام منها: ضرورة الأدب في طلب صحبة العالم، وأن الترويح عن النفس نشاط هادف إيجابي، يحمل معه

للفرد سروراً ومتعة ورضى شريطة أن يخلو من التحريم والكراهة، الاحتواء الكامل لمرحلة الحضانة والإحسان للولد والدعوة إلى الملاطفة والمداعبة مما يعين على استصلاحه وهدايته، ووجوب مراعاة الفروق الفردية وأثرها في تنمية التحصيل العلمي للمتعلمين.

وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة؛ من جهة المشاركة في البحث في تناول موضوع الفكر التربوي لعلم من أعلام الفكر الإسلامي التربوي؛ إلا أنها تختلف معها في تناولها الفكر التربوي عند الليث بن سعد وهو مالم تتناوله أيا من الدراسات السابقة، فمن خلال تتبع المصادر والمراجع في المكتبات العربية لم يجد الباحثان دراسة سابقة تناولت رسالة الليث بن سعد بالبحث والتحليل من منظور تربوي، وهذا ما ستعني به هذه الدراسة، ويشير الباحثان إلى أن أغلب الدراسات التي تناولت شخصية الليث بن سعد تناولتها من الجانب الفقهي والجانب الأصولي، ومع أن صلة هذه الدراسات غير مباشرة بموضوع البحث فيمكن أن تفيد في بعض جوانب البحث، كما يعد إجراء هذه الدراسة استجابة لتوصيات دراسة كلا من دراسات(الشريف، ٢٠١٢) (الجبوري، ٢٠١٨) و(محمود، ٢٠٢١) و(الفهد ٢٠٢٣).

وقد استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في إمكانية التجديد في الدراسة الحالية في تجلية العوامل التي شكلت فكر الليث بن سعد التربوي وإبراز الجوانب المستفادة من عرض سيرة الإمام الليث بن سعد التربوية، واستثمار المنهج الاستنباطي في القراءة الفاحصة لإرث الليث بن سعد العلمي والفكري ومحاولة استنباط الفوائد أو المضامين أو الأساليب التربوية من حياته العلمية.

مشكلة الدراسة:

تمثل مشكلة الفكر التربوي في الوقت الحاضر واحدة من التحديات الكبرى التي كانت وما تزال تواجه العديد من البلدان وفي مقدمتها البلدان العربية والإسلامية فالمتتبع للكتابات التربوية التي ظهرت في العالم العربي يلمس بوضوح تجاهلها تاريخ الفكر التربوي الإسلامي لا سيما في البيئة العربية، ومما يؤسف لـه اهتمام بعض المفكرين المسلمين بقضايا الفكر التربوي الغربي أكثر من اهتمامهم بالفكر التربوي الإسلامي، ومما يزيد الأمر تعقيداً أن نرى كتب التربية العربية تهتم بالمفكرين الغربيين، وتعرض لآرائهم أكثر من اهتمامها بالمفكرين المسلمين، ولعل ذلك يرجع إلى تأثر نفر من المفكرين بالمستشرقين، فضلا عن تشبعهم بالثقافة الغربية، وانبهارهم بالتفوق العلمي في الغرب، مقارنة بما هو حادث في بلاد الشرق الإسلامي، وليس القصد من ذلك الدعوة إلى عدم الاهتمام بالفكر التربوي الغربي لكن مع الاهتمام به لابد من الاهتمام بالفكر التربوي الإسلامي، والذي يمثل بأفكار علمائه رافدا خصبا يمكن أن يسير متوازيا مع غيره من فكر.(الشريف، ٢٠١٢ ، ٤٥)

كما تعرض الفكر التربوي الإسلامي في الآونة الأخيرة لموجة من التغيرات الفكرية الأمر الذي جعلها تهدد رصيده من القيم التربوية، كما أن المجتمعات الإسلامية شابها كثير من الخلط والأفكار الخاطئة التي تقف حائلاً دون التجديد والتغير بكافة مجالات الحياة، مما أدى إلى طمس الفكر التربوي لدى عقول المسلمين وسيطرة التربية الغربية التي أطلقت على نفسها سمة الحداثة، بل أخذت تتسرب إلى المجتمعات الإسلامية، وتمسكت بها المجتمعات الإسلامية دون الرجوع إلى حقيقة هذه الأفكار وماهية جذورها وهل تتناسب مع الفكر التربوي الإسلامي، وبالتالي لم يكن هنالك ابتكار أو تفكير مبدع وخلاق، وابتعدوا عن الرجوع إلى الإرث والفكر التربوي الإسلامي وتجديد ما ذكره علماؤنا.(القحطاني، ٢٠٢٤، ١٧٣)

وحتى تقوم التربية العربية بالدور المأمول فلا بد من قيام تربية عربية أصيلة نابعة من ثقافة الأمة وتراثها، تأخذ بمتطلبات العصر متفتحة على الثقافات الأخرى تستفيد من إنجازاتها في مختلف مجالات الحياة، وخاصة في المجال التربوي والعلمي والتكنولوجي، وان امرا كهذا يعد ضرورة ملحة في ظل حقيقة ساطعة تزداد خطورتها يوما بعد يوم، وهي تقاصر الوعي في التربية الإسلامية وضعف فاعليتها في نفوس المسلمين، وهذا يتطلب منا نشاطاً علمياً حضاريا لوضع إطار تربوي مرجعي مستمد من عقيدة الأمة، وتراثها المجيد يستوعب كل متطلبات العصر ويواكب مسيرة التقدم العلمي.(كايد، ٢٠٠٥، ٣)

وتأتي هذه الدراسة لتبحث واحداً من أعلام الفكر في القرن الثاني الهجري وهو الإمام الليث بن سعد، فقيه مصر ومحدثها، أحد أبرز الأعلام في التاريخ الإسلامي، ليس فقط لعلمه الغزير وفقهه العميق؛ بل أيضًا لمنهجه التربوي الفريد الذي استقى أصوله من معين الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وطبّقه في حلقاته العلمية وتعامله مع تلاميذه والمجتمع من حوله، ورغم شهرة الإمام الليث العلمية والفقهية، إلا أن الجانب التربوي في شخصيته ومنهجه لم ينل حظه الوافر من الدراسة المتعمقة، خاصة في سياق أصول التربية الإسلامية الحديثة فالدراسات حول فكر الإمام الليث ابن سعد قليلة جدا في المجال التربوي، ولا تفي بالحاجة قياسا مع إسهاماته الكثيرة.

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: **ما ملامح الفكر التربوي عند الليث بن سعد؟** ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية التالية:

- ما العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبيئة التي عاش فيها الإمام الليث بن سعد وأثرت في فكره؟
- ما المبادئ والأسس التربوية المستخلصة من الفكر التربوي للإمام الليث بن سعد؟
- كيف يمكن الاستفادة من فكر الإمام الليث بن سعد في معالجة قضايا الواقع التربوي المعاصر؟

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة الحالية تحقيق ما يلي:

- المساهمة في إبراز شخصية الإمام الليث بن سعد بوصفه رمزًا ملهمًا من رموز التجديد والمواطنة، ومعبرًا عن المدرسة المصرية الأصيلة في فقهها وحمايتها للوطن ونسيجه المجتمعي.
- توضيح تأثير الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية على فكر الليث بن سعد.
- إبراز المبادئ والأسس التربوية المستخلصة من فكر الليث بن سعد.
- محاولة الاستفادة من فكر الإمام الليث بن سعد في معالجة قضايا الواقع التربوي المعاصر.
- السعي لإثراء الفكر التربوي المعاصر بالدراسات والبحوث المرتبطة بالفكر التربوي الإسلامي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من عدة اعتبارات يمكن ايجازها على النحو التالي:

- مع علو منزلة الامام الليث بن سعد وتبوأه من العلم مكانة سامية قل أن يدانيه فيها أحد كما شهد بذلك أساطين الأئمة كالإمام الشافعي والإمام مالك فإن تراث الرجل العلمي وخاصة الجانب التربوي لم يتح له حتي الآن من يحدد معالمه ويفصح عن اتجاهاته ويكشف عن أصوله بالقدر الذي ينبئ عن جلالة الشيخ وإمامته ، وإذا كان قومه الأولون ضيعوه فإنه ما زال إلي اليوم مهضوما حقه، مجهولاً علمه، فلم يكتب عنه إلا شذرات هنا وهناك دون أن يعمد لآرائه التربوية وما أكثرها بالدراسة والتحليل والمقارنة، ولا ندعي أننا في هذا البحث قادرون علي تحقيق ذلك وإنما نرمي من خلال هذا البحث استنباط بعض الآراء التربوية من حياته وتعامله مع طلابه وكيفية الاستفادة منها في العملية التربوية .
- تتماشي هذه الدراسة مع ما أعلنه وزير الأوقاف عن إطلاق برامج تدريبية متكاملة للدعاة والدارسين والباحثين لدراسة شخصية وعلم الإمام الليث بن سعد، والوقوف على منهجيته العلمية الرائدة، مشيرًا إلى أن الوزارة ستعكف على تقديم حلقات وبرامج ومؤلفات، وإعداد كوادر علمية، وعقد حلقات نظامية لإحياء علوم الليث بن سعد (البحيري، ٢٠٢٥) نقلاً عن: https://www.almasryalyoum.com بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٢٥.
- استفحال الغزو الثقافي في جسد الأمة حتى كاد يخرجها عن عقيدتها وماضيها المجيد، وأصبح يضعها في موقف المقلد التابع، وظهرت العديد من الدعوات التي تدعو إلى استيراد الأفكار، واحتذاء النماذج الغربية تارة والشرقية تارة أخرى خاصة في المجال التربوي، رغم مخالفتها لتعاليم الإسلام وقيمه، وكانت النتيجة وقوع العديد من أبناء هذا الجيل في صراع بين الماضي الذي يسكن جنباته، وبين الحاضر البراق اللامع، وفي ظل هذا الاستفحال ظهرت العديد من الدعوات المختلفة التي تدعو إلى ضرورة العودة إلى التراث الأصيل والكشف عن جوانب هذا الفكر للإفادة منه في الوقت الحاضر من أجل الإسهام في تحصين الجيل بالقيم السامية والأخلاق النبيلة التي جاء بها الإسلام.
- أهمية دراسة شخصية الليث بن سعد كأنموذج رفيع في آداب الحوار بين العلماء، وحاجتنا إليه لاحتواء الصراعات والاختلافات، ودعم أواصر التآلف والمحبة بين العلماء، ونحن في حاجة شديدة إلى هذه الصور لتكون لنا قدوة ونبراسا يستضيء به شبابنا؛ فيسيرون على هدى من السلوك الذي ينهل من معين الكتاب والسنة، ويعمل بالحق ويجاهد في سبيله.
- يأمل الباحثان أن تفيد هذه الدراسة القائمين على العملية التربوية في تطوير التعليم من خلال ما تقدمه من رؤى وأفكار ومضامين تربوية إسلامية يمكن الاسترشاد بها في التطبيقات التربوية المعاصرة، وبرامج إعداد المعلمين بمؤسسات التعليم.
- يمكن أن تفيد هذه الدراسة في مساعدة أصحاب القرار في المجال التربوي من خلال تبني المفاهيم التربوية للإمام الليث بن سعد وجعلها حيز التنفيذ، كما يمكن أن تفيدهم في الإثراء الإسلامي للعلوم والمعارف.

منهجية البحث:

تعتمد الدراسة بشكل أساسي على كل من المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، من خلال استقراء المصادر الإسلامية المعتبرة التي تناولت سيرة الإمام الليث وأقواله ومواقفه، ودراسة ظروف عصره التي أثرت على شخصيته ومنهجه التربوي.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على الأفكار التربوية التي أشار إليها الإمام الليث بن سعد في مؤلفاته ومصنفاته المختلفة، وآراءه التي ربي عليها طلابه، ومواقفه العملية في حياته، وما أشار إليه بعض الباحثين والدارسين ممن تناولوا دراسة بعض الجوانب التربوية في فكره وتعاملاته.

مصطلحات الدراسة:

لا بد من تحديد المصطلحات الواردة في هذه الدراسة حيثما وردت على النحو التالي:

(أ) **الفكر**

الفكر لغة: بالكسر؛ تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعنى كما يقال: "ولي في الأمر فكر" أي: نظر ورؤية والفكر بالفتح مصدر فكرت في الأمر من باب: ضرب، وتفكرت فيه، وأفكرت بالألف، والفكرة: اسم من الأفكار، مثل: العبرة والرحلة من الاعتبار والارتحال، وجمعها فكر، مثل سذرة وسدر، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً. (بن منظور، ١٤٤٣ ه، ٣٠٧)

والفكر اصطلاحا: يشمل كل أنواع النشاط العقلي أو السلوك المعرفي، وهو كذلك المعالجة العقلية للوارد الحسي بهدف تكوين الأفكار والاستدلال والحكم عليها. (زمزمي،٢٠٠٧، ١٧)، ويرى الإمام فخر الدين الرازي أن الفكر عبارة عن: ترتيب أمور معلومة لينتقل منها إلى أن يصير المجهول معلوما، وذلك الترتيب قد يكون صوابا، وقد لا يكون، والتمييز بينهما ليس ببديهي فلا بد من قانون يفيد ذلك التمييز وهو المنطق (الرازي، د.ت، ٢٣)

(ب) الفكر التربوي:

يعرف بأنه: دراسة آراء المفكرين والمربين فيما تركوه في مؤلفاتهم بما يتعلق بالعملية التعليمية وفلسفتها وأهدافها ووسائل تحقيق هذه الأهداف، بعبارة أخرى أنها البحث عن الخلفية الفكرية والمبادئ والفروض ومجموعة المفاهيم والتصورات التي تتصل ببعض المفاهيم والقضايا التربوية والتعليمية. (العمايرة، ٢٠٠٢م، ٢٩)

(ج)الفكر التربوي الإسلامي

يقصد بالفكر التربوي الإسلامي مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضايا والمشكلات التربوية. (الخطيب، ١٩٩٥م، ٤٤)، كما يري (آل عايش، ٢٠١٦، ٢٢٥) أنه عبارة عن الإطار النظري الذي يتسع ليرسم مسار العملية التربوية في شكلها النهائي وفق فلسفة الأمة وعقيدتها وقيمها واتجاهاتها ومصادرها، منطلقًا من فكرها العام ليفي بحاجات المجتمع وتطلعاته وآماله وطموحاته في مجال تربية الفرد والمجتمع وبناء الأمة وحضارتها.

ويحدد الباحث **إجرائياً** تعريف الفكر التربوي عند الليث بن سعد بأنه مجموعة الآراء والأفكار التربوية التي تضمنتها المصنفات والمؤلفات المختلفة عن الليث بن سعد في القضايا والمجالات التربوية والتعليمية والتي تهدف إلى بناء الأجيال المسلمة؛ لتحقيق أهداف الأمة.

(د) التطبيقات التربوية:

مجموعة من المفاهيم والحقائق والمعارف والمبادئ والاتجاهات التي ينبغي على المتعلمين تطبيقها تطبيقا عمليا. (الفارابي وآخرون، ١٩٩٤، ٢٧٢)

ويعرف الباحثان التطبيقات التربوية **اجرائيا** بأنها: استخلاص الأصول والملامح التربوية المستنبطة من فكر الليث بن سعد وتطبيقها في الواقع المعاصر.

خطة السير في الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة (مشكلة الدراسة، أهدافها، أهميتها، منهجها، حدودها، مصطلحاتها) وثلاثة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: ترجمة حياة الإمام الليث بن سعد (مولده، نشأته، رحلاته في طلب العلم، أبرز شيوخه وتلاميذه، مكانته العلمية وثناء العلماء عليه).

المحور الثاني: طبيعة عصره (الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي أثرت في شخصيته).

المحور الثالث: المبادئ والأسس التربوية المستنبطة من فكر الإمام الليث بن سعد وتطبيقاتها التربوية.

المبحث الأول: ترجمة حياة الإمام الليث بن سعد (٩٤-١٧٥ هـ).

من المستحسن في بداية هذه الدراسة أن نترجم بإيجاز للإمام الليث بن سعد:

أولاً: المولد والنسب

الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية ورئيسها، أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، ولد الليث بن سعد سنة أربع وتسعين هجرية في خلافة الوليد بن عبد الملك في قرية قلقشندة جنوب مركز طوخ بمحافظة القليوبية بمصر، أصله فارسي من أصبهان، ولكن مولده ومنشأه ووفاته بمصر، كانت أسرته ميسورة الحال، مما أتاح له بيئة مناسبة لطلب العلم منذ الصغر. (حمزة، ١٩٦٢، ٣٨) (بن الجوزي، ١٩٩٢، ١٢) (المزي، ١٩٨٠، ج٢٤، ٢٦٧) (الذهبي،٢٠٠٨ ج٨، ١٣٧)

ثانياً: نشأته وطلبه للعلم

بدأ الليث طلب العلم في قريته بحفظ القرآن الكريم، ثم رحل إلى الفسطاط، فسمع العلم من صغره، ورأى كثيراً من العلماء وجلس إليهم، وتلقى عنهم الفقه واللغة وعلوم القرآن، ثم ارتحل إلى مكة وهو في العشرين من عمره سنة ثلاث عشرة ومائة هجرية، فسمع من علماء الحجاز، وتعلم من التابعين ومن تابعي التابعين، عن سعيد بن أبي مريم قال: قال الليث "حججت سنة ثلاث عشرة - يعنى ومائة - وأنا ابن عشرين سنة" (المزي، ١٩٨٠، ٢٦٥)، وقال أبو نعيم: " أسند الليث عن عدة من كبار التابعين))، وقيل: ((إنه أدرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين، وأدرك من تابعي التابعين ومن دونهم مائة وخمسين نفسا". (الأصبهاني، ١٩٨١، ٣٢٤)

ثالثاً: شيوخ الليث بن سعد وتلاميذه ومصنفاته

من أهم شيوخ الليث الذين كان لهم دور كبير في حياته وتكوينه العلمي والثقافي الإمام مالك، وعطاء بن أبي رباح، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، ونافع وابن شهاب الزهري وهشيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي، ويزيد بن أبي حبيب، وغيرهم (الذهبي، ٢٠٠٨ م، ١٤٥) وكان لهؤلاء وغيرهم من الشيوخ والعلماء الذين درس عليهم الليث أثر كبير في شخصيته وعلمه، فقد اقتبس من علمهم، واستفاد من فضلهم وأخلاقهم وتعلم من ورعهم وزهدهم، كما يتبين من ارتحاله لطلب العلم إخلاصه وشغفه في طلب العلم ، ودأبه في جمعه، الأمر الذي ساعده على النبوغ فيه والتفوق على إخوانه وأقرانه، فأضحى يشار إليه بالبنان بين العلماء الكبار، كذلك لاقى التقدير والإجلال الذي يليق به من حكام عصره.

ولما عاد الليث إلى مصر - وقد علا ذكره - وجلس للفتوى حتى استقل بها في زمانه، وعظمه أهل مصر، وأدرك كثير من العلماء والمتعلمين فضله فأقبلوا عليه، وكانت له حلقة كبيرة في

جامع الفسطاط، فكان التلاميذ يجتمعون حوله ويستمعون إليه ليأخذوا عنه، ويستفيدوا من علمه، ورحل الليث إلى بغداد سنة إحدى وستين ومائة هجرية، يقول الخطيب البغدادي: "خرج الليث إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة وخرج في شوال، وشهد الأضحى ببغداد". (ابن خلكان، ١٩٧٢، ج٤، ١٢٩)

ولما قدم بغداد حدث بها، وروى عنه من أهلها حجين بن المثنى، ومنصور بن سلمة، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيى بن إسحاق البلخي، وشبابه بن سوار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين، فلقد توافد على الإمام الليث طلاب العلم من كل مكان، لينهلوا من علمه وفقهه وأدبه، وقد تخرج على يديه عدد كبير من الأئمة الأعلام، بلغ عدد الذين ذكرتهم كتب السير والتراجم ما يربو على السبعين طالبًا، كان لهم شأن كبير في نشر العلم، وكان من أبرز تلاميذه: عبد الله بن وهب المصري - وهو من أخص تلاميذه وأكثرهم رواية عنه -، وعبد الله بن المبارك - الإمام الزاهد المعروف -، عبد الله بن يزيد المقرئ، آدم بن أبي إياس، أشهب بن عبد العزيز القيسي الفقيه المالكي، يحيى بن بكير، قتيبة بن سعيد، شعـيب بن الليث (ابنه) ، ابن لهيعة عبد الله بن عطية الخضرمي، هشيم بن بضير مولى بني سليم بن معاوية. وقد حمل هؤلاء التلاميذ وغيرهم علم الليث وفقهه وروايته، وإن كانوا لم يدونوا مذهبه بشكل مستقل كما فعل أصحاب مالك وأبي حنيفة (المزي، ١٩٨٠، ج٢٤، ٢٦٩ – ٢٧٠) (الذهبي، ٢٠٠٨، ج٨، ١٤٠ – ١٤١) (السيوطي، ١٩٦٧، ٣٠٣)

لم يهتم الليث بن سعد بتأليف المصنفات، فلم يصل لأيدينا سوى شذرات مما نقل من علمه مثل كتاب عشرة أحاديث من الجزء المنتقى الأول والثاني من حديث الليث وجزء فيه مجلس من فوائد الليث بن سعد. يقول البغدادي: "من تصانيف الليث كتاب في التاريخ، وكتاب المسائل في الفقه". (ابن النديم، ١٩٩٧، ٢٤٨)

رابعًا: مجالس الليث

كان الليث متواضعاً كأشد ما يكون التواضع، يجلس على باب داره ليوزع الهبات والصدقات، ويجلس للناس يعلمهم، ويجلس لأصحاب الحاجات فيقضي حوائجهم، ويصغي للعظات والتذكير، ولا يتكبر على موعظة، ولا يري في نفسه أنه أفضل من غيره، وكان له في كل يوم أربعة مجالس: أما أولها، فيجلس للوالي يستشيره في نوائبه وحوائجه، فكان الليث إن أنكر من القاضي أو الوالي أمرًا كتب إلى الخليفة فيأتي أمر العزل، والثاني يجلس لأصحاب الحديث، والثالث مجلس عام للمسائل الفقهية يفتي السائلين، والرابع مجلس الحوائج للناس ممن يسألونه المال فلا يرد أحدًا مهما كبرت حاجته أو صغرت. (الذهبي، ٢٠٠٨، ج٨، ١٥٠) (ابن خلكان، ١٩٧١، ج٤، ١٣١)

خامسًا: مكانة الإمام الليث العلمية وثناء العلماء عليه

عاش الإمام الليث بن سعد في فترة تاريخية حاسمة، شهدت نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية (١٣٢هـ)، عاصر العديد من الخلفاء الأمويين والعباسيين، وشهد حياته الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي صاحبت هذا الانتقال، وقد تميزت هذه الفترة بذروة العطاء العلمي في مجال جمع الحديث وتدوينه ونشأة المذاهب الفقهية الكبرى، فقد أثر هذا الواقع على الليث وتفاعل معه، فكان له حضوره ومكانته ليس فقط كعالم؛ بل كشخصية مؤثرة لها رأيها ومكانتها لدى الخاصة والعامة، وحتى لدى بعض الخلفاء والولاة الذين كانوا يستشيرونه ويقدرونه.

لم يكن الإمام الليث مجرد عالم عادي، بل كان إمامًا مجتهدًا، واسع المعرفة، جمع بين الحديث والفقه والتفسير والتاريخ والأدب، شهد له معاصروه ومن أتى بعدهم بالإمامة والفضل وغزارة العلم والدين والزهد والورع والكرم، ويرجع السبب في ذلك إلى البيئة العلمية التي نشأ فيها الليث، فكان أبوه محبًا للعلم وأهله، فحرص أن يوفر له كل السبل لتحصيل ما يتاح من علوم ذلك

الزمان، فضلًا عن ثرائه الكبير الذي ساعده على التنقل والترحال لطلب العلم في مصر وخارجها، فلم يذق مرارة الجوع أو ذل الحاجة طيلة حياته، فضلًا عن ذلك تلمذته على أعظم شيوخ عصره الذين تخصصوا في ألوان مختلفة من العلوم والفنون والآداب والمعارف، علاوة على ذلك شغفه الزائد بالعلم وأهله، فساعده ذلك على جمع أصول العلوم في فترة وجيزة؛ حتى أهله علمه أن يزاحم العلماء ويضارعهم وهو في سن مبكرة.(سليمان، ٢٠٢٣ ، ١٣٢)

يعتبر الإمام الليث من أئمة الحديث الثقات الأثبات، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "الليث ثقة ثبت" وقال يحيى بن معين: "الليث ثقة"، وقال أبو حاتم الرازي: "هو أحب إليَّ من يونس – يعني ابن يزيد الأيلي – وهو ثقة"، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة جميعًا، كان دقيقًا في روايته، وكان ينتقي شيوخه، ورغم سعة روايته، كان يتثبت كثيرًا، ومما يدل على ورعه الشديد ما قاله ابنه شعيب: "سمعت أبي يقول: لولا أني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل، لتحدثت بثلاثمائة ألف حديث أو كما قال، قيل: فما بالك يا أبا الحارث؟ قال: أخاف أن أكون قد أخطأت على أحد". (الذهبي، ٢٠٠٨، ج ٨، ١٤٤).

وكان الليث حريصًا على رواية حديث الرسول- ﷺ- وإحياء سنته، ومما يحسب في ميزان الليث دروسه التي ألقاها في فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، في وقت كانت الدولة العباسية قد أشعلت النقمة على الأمويين، فكانوا ينتقصون من أمر عثمان -رضي الله عنه-، فأخذ الليث يُحدثهم بفضائل عثمان حتى أحبوه قال عثمان بن صالح " كان أهل مصر ينتقصون من عثمان، حتى جاء الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان، فكفوا عن ذلك" (المزي، ١٩٨٠، ج ٢٤، ٢٧١).

ويعتبر الليث بن سعد فقيه أهل مصر في زمانه بلا منازع، فقد اشتغل بالفتوى وتصدى للكثير من مسائل العلم الشرعي (الهاشمي، ١٩٦٨، ٥١٧)، قال الإمام الشافعي: "الليث أتبع للأثر من مالك" (الذهبي، ٢٠٠٨، ج ٨، ١٤٥)، وهذه شهادة عظيمة من الشافعي الذي تأثر بكل من مالك والليث.

وذكر ابن القيم أنه من أشهر المفتين في الديار المصرية بقوله: "يزيد بن أبي حبيب وبكير بن عبد الله بن الأشج وبعدها عمرو بن الحارث والليث بن سعد وعبيد الله بن أبي جعفر" (ابن القيم، ١٩٩١، ج١، ٢٢)، فكلام ابن القيم يظهر مكانة الليث أنها وصلت إلى درجة مشيخته بالفقه والفتوى وعده ابن القيم ممن يؤخذ بفتواهم من أصحاب الآثار السلفية والفتاوى الصحابية وأنها أولى بالأخذ من آراء المتأخرين وفتاويهم وأن قربها بالصواب بحسب قربه أهلها من عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم -وكثيرًا ما يذكر في ترجمة الليث بن سعد أنه اشتغل بالفتوى.(الجبوري، ٢٠١٨، ١٩-٢٠)

كانت له مراسلات فقهية مشهورة مع الإمام مالك بن أنس، يناقشه فيها في بعض المسائل الفقهية بأدب جم واحترام متبادل، مما يدل على مكانتهما وقدرتهما على الحوار العلمي الراقي، ومع إمامته في الفقه، لم يُكتب لمذهبه الانتشار والبقاء كمذهب مستقل له أصوله وفروعه المدونة وأتباعه، ويرجع ذلك لأسباب عدة، أهمها ما ذكره الشافعي: "الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"(الذهبي، ٢٠٠٨، ج ٨، ١٤٦)، أي أن تلاميذه لم يتفرغوا لتدوين مذهبه ونشره كما فعل تلاميذ الأئمة الآخرين كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد، كما أن سخاء الليث المفرط ربما صرف بعض طلابه عن التفرغ التام لخدمة مذهبه، حيث كان يعطيهم عطاءً جزيلاً قد يغنيهم عن الحاجة للتدريس أو التأليف المستمر ومع ذلك بقيت آراؤه الفقهية محفوظة في كتب الفقه المقارن وكتب الحديث، وهي محل اعتبار عند العلماء.

سادسا: مصادر دخله وإنفاقه

كان الليث صاحب ضياع كثيرة وأموال وفيرة، ولقد بسط الله له في الرزق، وكان له قرية بمصر يقال لها الفرما يحمل إليه من خراجها، فيجعل ذلك صرراً، ويجلس على باب داره ويعطي صرة لهذا وصرة لهذا حتى لا يدع إلا اليسير، وكان إلى جانب ذلك يعمل بالتجارة، وكان له عطاء من الخليفة هارون الرشيد في نظير إدارة إقطاعياته في مصر، فكان دخله يتراوح بين عشرين ألفا ومائة ألف دينار. (الذهبي، ٢٠٠٨، ج٨، ١٥٢)

هذا؛ ولم يغتر الليث بن سعد بالغنى والثراء الواسع والنعمة التي بسطها الله تعالى له، ولم يسع إلى اكتناز المال؛ بل كان آية في الجود والكرم، ومثالا حيا للغني الشاكر، وتجمع الروايات وتنقل المراجع - أنه ما وجبت عليه زكاة قط لأنه كان يتصدق بماله كله وينفق ما تقع عليه يده، ولا يدخر من ماله شيئًا، فإذا حال عليه الحول لا تجب عليه الزكاة في ماله، بل قد يكون - أحيانا كثيرة - مدينا لكثرة إنفاقه وجوده قال محمد بن رمح: ((كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة.(ابن حجر،١٩٨٧، ٦)

أما كرم الليث وسخاؤه مع الإمام مالك بن أنس فقد اعتبر الليث نفسه ومالكا شخصا واحدا، وكان يعرف أن مالكا سخي ويقصده الناس من مختلف الجهات، وله تلاميذ يلزمون حلقته ويعولهم، فهو في حاجة دائمة إلى المال، فكان الليث يمده بالمال وغيره مما يحتاج إليه. قال ابن وهب " كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار في كل سنة، فكتب إليه مالك: إن علي دينًا، فبعث إليه بخمسمائة دينار". (ابن خلكان، ١٩٧١، ج٤، ١٣٠).

سابعًا: رفضه للولاية ولقائه بالخلفاء

عاش الليث بن سعد واحداً وثمانين عاماً، فقد ولد في سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٧٥هـ، وتجمع هذه الفترة الزمنية بين نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، وبهذا يكون الليث قد عاصر كثيراً من خلفاء الدولة الأموية والعباسية، ولم تشير مصادر التاريخ إلى أن الليث بن سعد لقي أحدا من خلفاء بني أمية، وربما كان السبب في ذلك انشغاله في طلب العلم الذي قضى فيه صدر شبابه، كما أن الجزء الأخير من تاريخ الخلافة الأموية كان حافلا بالصراع الذي لم يتح لأحد فرصة التوجه للقاء الخليفة، وفي عهد الخلفاء العباسيين الثلاثة أبو جعفر المنصور، وولده المهدى، وهارون الرشيد وقد توجه الليث بن سعد إلى العراق أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يقابل الخليفة وكان الخلفاء يحترمونه ويجلونه لأنهم أدركوا أنه ليس من أصحاب المطامع، ولا من طلاب الشهرة، ولا ممن يبتغي الدنيا.(ابن خلكان ، ١٩٧١ ،ج٤ ، ١٣٢ – ١٣٤)(الذهبي، ٢٠٠٨ ، ج٨، ١٥٠)

ثامناً وفاته:

توفى الليث - كما يرى جمهور المؤرخين - سنة خمس وسبعين ومائة من الهجرة، بعد ما بلغ إحدى وثمانين سنة، وذلك في يوم الخميس ودفن في يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة هجرية، وصلى عليه الوالي موسى بن عيسى يقول ابن كثير في أحداث سنة ١٧٥ هـ: "وفيها توفي الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم.... وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة". (ابن كثير،١٩٨٨م، ١٧٧)

وقد حزن الناس جميعًا في مصر لوفاة الليث وفقدانهم رجلا كان ملء أسماعهم وأبصارهم، قال خالد بن عبد السلام الصدفي: "جالست الليث بن سعد، وشهدت جنازته مع أبي، فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن، ويعزى بعضهم بعضًا، فقلت لأبي: يا أبت كان كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة؟ فقال لي: يا بني، كان عالما كريمًا حسن العقل كثير الإفضال، يا بني لا ترى مثله ابدا" (الذهبي، ٢٠٠٨، ج٨، ١٦٢)

وبعد؛ فقد كان الإمام الليث بن سعد- رحمه الله - أحد العلماء البارزين الذين سخروا حياتهم لله، وأجهدوا أنفسهم في طلب العلم واتباع الأثر، وهو أحد السلف الذين ضربوا أروع الأمثلة في

الزهد والإخلاص والتجرد واليقين، وكانت له مكانة بين علماء عصره حيث بلغ ذروة الرئاسة وتربع على قمة الرواية والدراية ولم يحظ من الشهرة بالقدر الذي يستحقه رغم ما عُرف به من علم وفقه واتباع للأثر.

المحور الثاني: طبيعة عصر الإمام الليث بن سعد (الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية للمجتمع وأثرها على شخصيته)

إن دراسة وفهم اسهامات شخصية مؤثرة كشخصية الليث بن سعد يستلزم دراسة وافية للسياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للعصر الذي عاش فيه، ومدى انعكاسات هذه الظروف في بناء شخصيته.

الواقع السياسي:

شهدت مصر خلال القرن الثاني الهجري تحولًا سياسيًا هامًا تمثل في الانتقال من الحكم الأموي إلى الحكم العباسي، حيث بدأ هذا القرن في منتصف خلافة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ) حيث فاض المال، وانتشر العدل بين الناس، نتيجة السياسة الإصلاحية التي قام بها الخليفة عمر بن عبد العزيز في الحكم والقضاء والاقتصاد وفي إدارة شؤون الدولة الإسلامية، ونتج عن هذا الإصلاح أن الأثرياء كانوا يطوفون بالأسوق للبحث عن المحتاجين؛ لإعطائهم صدقاتهم فلا يجدون من يأخذها نتيجة العدل والرخاء في هذا العصر.(بن عايض، ٢٠١٩ ، ٤١٧)

ولعل الحدث الأعظم سياسيًا في القرن الثاني الهجري هو سقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ) بعدما وصلت إلى أوج اتساعها، حيث أصبحت دولة الإسلام تمتد من حدود الصين شرقًا، وحتى جنوب فرنسا غربًا، وقد كان بنو أمية – بصفة عامة- عند حسن ظن الأمة بهم سواء في مستوى كفايتهم الشخصية أم في مستوى أعمالهم العامة. (عوبس، ١٩٨٧، ٧)

وعندما قامت دولة بني العباس (١٣٢هـ) ظهرت حالة من الخلاف بين المسلمين، بين مؤيد ومعارض، فأريقت الدماء في بداية تكوين الدولة العباسية، وملاحقة بقايا بني أمية والتنكيل بهم، الأمر الذي دعا عبد الرحمن الداخل – أحد أحفاد الأمويين – أن يخرج من المشرق العربي إلى بلاد الأندلس ويؤسس إمارة إسلامية جديدة على مشارف أوروبا هي الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨هـ)، وما حملته تلك الدولة الفتية من نهضة علمية وعمرانية كبرى لأوروبا والعالم فيما بعد. (الشاعر، ١٩٩١، ٣)

وأطلق البعض على القرن الأول من عمر الدولة العباسية والذي يبدأ من سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، العصر الذهبي للحكم الإسلامي، بسبب توافر العديد من الكفايات الممتازة في شخصية الخلفاء التسعة الذي تولوا الخلافة في هذا القرن وهم: (السفاح، والمنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق) فجمعوا إلى جانب الصفات السياسية والحربية، مؤهلات عقلية لم تكن لغيرهم من الخلفاء. (حمور، ١٩٩٨، ١٣)

وقد أثرت كثرة التغيير للولاة خلال العصرين الأموي والعباسي المبكر على كيفية تعامل الليث بن سعد مع السلطات الحاكمة، وربما دعاه ذلك إلى الحذر أو البعد الاستراتيجي، كما ترتب على الانتقال من الحكم الأموي إلى الحكم العباسي اضطرابًا سياسيًا كبيرًا كان من الطبيعي أن يكون له تأثيرات واسعة على المجتمع المصري، وربما أثر على آراء الليث بن سعد حول الحكم والعدالة. (حسن، ١٩٩٦، ٤٠)

وهكذا يتبين لنا أن الليث كانت له علاقات حميمة مع بعض الخلفاء والولاة سواء من الأمويين أو العباسيين، وأثمرت هذه العلاقات ثمرات طيبة أسهمت في تنظيم الحياة العامة في مصر آنذاك، وحظي بمكانة علمية سامية عند هؤلاء الخلفاء، فأصبح الرقيب الشرعي على الولاة والقضاء

في مصر فلا يقضون بشيء إلا بمشورته، وإذا فعلوا ما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله – ﷺ – وعظهم، فإذا أصروا كاتب الخلفاء بذلك، فيأتي العزل عندئذ للمخالف، هذا هو الليث الذي أتته الدنيا وهي راغمه فرفضها، وولى ظهره لها، وجعلها مطية للدار الآخرة دار البقاء والخلود.(سليمان، ٢٠٢٣، ٥٦)

الواقع الاجتماعي:

تميزت الحياة الاجتماعية في مصر في هذه الفترة بالمحافظة على التعاليم والقيم الدينية، فساد بين الناس الإخاء والتسامح والإيثار والرضا بما قسم الله من الأرزاق، والحرص على مراقبة الله في التعامل مع الناس، وكان السبب وراء نجاح هذه الحياة وجود مجالس الوعظ والإرشاد التي كان يعقدها أئمة التربية والسلوك، وفي ذلك يقول المحاسبي: " إخواني: اعلموا أن صلاح الأمة وفسادها مرتبط بصلاح العلماء وفسادهم، وإن من العلماء رحمة على الناس، يسعد من اقتدى بهم ... فالعالم إذا كان عاملًا برضوان الله مؤثرا للآخرة على الدنيا، فأولئك خلفاء الرسل عليهم السلام، والنصحاء للعباد ... أولئك رحمة الله على الأمة، وبركته عليهم". (المحاسبي، ١٩٨٦، ٧١).

وتكون المجتمع المصري وقتذاك من أربع طبقات كانت على النحو التالي: (طبقة الصناع، طبقة ملاك الأراضي الزراعية، وطبقة الفلاحين، وطبقة التجار)، وكالعادة في كل المجتمعات كانت طبقة التجار أرقى الطبقات في ذلك الوقت، ومن ثم انعكس ذلك على عاداتهم وتقاليدهم، ثم تليها طبقة الصناع الذين امتهنوا الحرف المختلفة، وأخيرًا كانت طبقة الزراع. (رمضان، ١٩٩٤، ٤٠)

ولم يخل المجتمع من أهل الكتاب؛ بل كانوا يعيشون بجانب المسلمين جنبًا إلى جنب، ولقد تمتع اليهود والنصارى في ظل الحكم الإسلامي بعيشة آمنة راضية، تمتعوا فيها بكل حقوقهم دون أدنى تمييز بينهم وبين المسلمين. (سليمان، ٢٠٢٣، ٥٧)؛ إلا أن الصراعات العرقية ولدت مع نشأة الخلافة العباسية، وقد ترتب عليها وجود البغض والفتن بين طبقات الشعب، فالدولة العباسية قامت بمساعدة الفرس، فسعى العباسيون إلى مكافأة الفرس فعينوهم في المناصب دون العرب، فنقم العرب على الفرس وأشعلوا الفتن والثورات. (فوزي، ٢٠٠٩، ٣٧)

وقد شغل الليث بن سعد مكانة اجتماعية عالية، فكان يحظى باحترام عميق من عامة السكان ومن السلطات الحاكمة، كما عرف على نطاق واسع باسم إمام مصر، الأمر الذي يدل على مدى نفوذه وقيادته الدينية، كما أن أصله كمَولَى (مسلم غير عربي) ارتقى إلى مثل هذه المكانة البارزة يعكس الحراك الاجتماعي الذي كان موجودًا داخل المجتمع الإسلامي المبكر. (الذهبي، ٢٠٠٨، ١٤٣)

وقد أدى التنوع الديني والعرقي في المجتمع المصري إلى درجة كبيرة من التبادل والتفاعل الثقافي، مع احتمال وجود توترات اجتماعية ودينية أيضًا، ومما لاشك فيه أن هذه البيئة متعددة الأديان التي عاش فيها الليث ساعدته في فهم العلاقات بين المجتمعات فهمًا دقيقًا، مما أثر على آرائه القانونية بشأن غير المسلمين والعدالة الاجتماعية ضمن إطار إسلامي، كما أن مكانة الليث الرفيعة ونفوذه الواسع في المجتمع المصري مكناه من فهم الاحتياجات والاهتمامات المتنوعة للناس، كما يشير تركيزه على الرحمة والمساواة الاجتماعية ومسؤولية الحكومة في رعاية المحتاجين إلى أن بيئته الاجتماعية أثرت بشكل كبير على وجهات نظره الأخلاقية والقانونية مما جعله عالمًا مرتبطًا بعمق بواقع مجتمعه.(الحبلاني ، ١٤٣٣ ه ، ٤٨)

واقع الحياة الاقتصادية:

كانت مصر تتمتع بثروات هامة، الأمر الذي جعلها ولاية هامة وغنية باستمرار في عهد الخلافة الأموية والعباسية؛ مما ساهم بشكل كبير في زيادة موارد الدولتين، وقد اهتم الولاة باستخلاص الإيرادات والحفاظ على النظام نيابة عن الخلافة الحاكمة، وربما كان ينظر إلى الليث بن

سعد باعتباره شخصية بارزة يمكن لنفوذه أن يدعم أو يعيق هذه الأهداف؛ الأمر الذي جعل علاقته بالولاة حساسة، كما أن اهتمام الولاة بجمع الإيرادات ربما أدى إلى سياسات أثرت على الرفاهية الاقتصادية لعامة السكان، وهو عامل كان الليث بطبيعته الخيرية على الأرجح على دراية به. (الشيال، ١٩٦٦، ٢٧)

هذا؛ وقد شهدت الدولة العباسية في أول عهدها ازدهار كبيرًا في شتى نواحي الحياة الصناعية والزراعية والتجارية، حتى بلغ ما حصلته الحكومة من أحد تجار البصرة مائة ألف دينار في عام واحد، وكانت الأسواق ممتلئة بالمتاجر والبضائع، وكان لكل تاجر وتجارة شوارع معلومة، ورغم كثرة الضرائب وتنوعها أيام العباسيين تنوعًا كبيرًا؛ إلا أننا لم نسمع تذمرًا بين الناس من ثقل هذه الضرائب؛ وقد يرجع السبب في ذلك إلى الرخاء الاقتصادي الذي بلغته الدولة في شتى المرافق برغم الضرائب الجديدة التي فرضها العباسيون، مثل أعشار السفن، وأخماس المعادن والجمارك، وضرائب الصناعة إلى ما سوى ذلك (زيدان، ١٩٥٨، ٧٥).

ويؤكد تنوع هذه الضرائب مدى اتساع نواحي النشاط الاقتصادي بل وازدهاره، مما أدى إلى ما نسميه اليوم بمجتمع الوفرة، فكان الأغنياء يقيمون القصور الرائعة على شواطئ الأنهار، ويتخذون فيها أفخم أنواع الأثاث والزينة، وقد عاش الفقراء ومتوسطو الحال حياة كريمة ليس فيها ذل الفاقة والعوز وذلك نظرًا لرخص أثمان السلع وتوفر البضائع، وكان دخل بيت المال كبيرًا جدًا يفي بوجوه الإنفاق المتعددة من أجور القضاة والولاة والعمال وغيرهم من الموظفين ورواتب الجند والمنافع العامة، مثل إصلاح الطرق، وحفر الآبار، والنفقة على المسجونين والأسرى من غير المسلمين، والعطايا والمنح للأدباء والعلماء، والنفقات المخصصة للحج وما يبذل لفداء أسرى المسلمين وكل ما يتعلق بنفقات دار الخلافة. (الحفناوي، ١٩٧٩، ١٠١).

وفي ضوء هذا الرخاء الاقتصادي عاش الليث بن سعد حياة ثرية تتسم بالرخاء والغنا، فقدر البعض الدخل السنوي لليث ثمانين ألف دينار، كان الليث ينفق ببذخ على الفقراء والمحتاجين والعلماء وطلاب العلم، وكان يطعم المئات من الناس يوميًا وكان عطاؤه كبيرًا، فاتسمت شخصيته بالكرم والسخاء. (ابن خلكان،١٩٧١، ٤٧)، ويعكس كرم الليث وسخاؤه القيم الإسلامية التي تحلى بها، والتي تؤكد المسؤولية الاجتماعية ورعاية المحتاجين في سياق الظروف الاقتصادية في عصره.

واقع البيئة الثقافية والفكرية:

يعتبر القرن الثاني الهجري من أزهى العصور الإسلامية من الناحية العلمية حيث ازدهرت فيه العلوم من حديث، وفقه وأدب، ونبغ فيه أئمة عظام، أمثال: الأوزاعي، أحد رواة الحديث الثقات، وسفيان الثوري -أمير المؤمنين في الحديث-، والإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وصاحب كتاب "الموطأ"، والإمام أبي حنيفة صاحب المصنفات الماتعة والنفيسة، وجميع هؤلاء من الأئمة المتبوعين، الذين كونوا حركة علمية قوية، وكان بجوار هؤلاء المربين علماء ورثوا حضارات الأمم التي افتتحها المسلمون، فكانوا يزودون العربية ببعض علم هذه الأمم، فيما يدلونه من آراء أو أفكار وافدة يترجمونها من اللسان الفارسي وغيره، وقد ابتدأت الترجمة في العصر الأموي، وأتت أكلها في العصر العباسي، ولقد كان لاتساع حركة الترجمة تأثير في الفكر الإسلامي حيث أثر الفكر الأجنبي الوافد (اليوناني) في آراء بعض العلماء المسلمين، ولا سيما علماء الكلام والصوفية، وفي هذه الحقبة اتجه العلماء في آخر العصر الأموي إلى التدوين وأخذت العلوم الدينية والعربية تتميز، وصار كل علم له علماء قد اختصوا به يتفننون فيه.(الشريف، ٢٠١٣، ٨)

ونلاحظ أن الأمة الإسلامية في العصر الأموي خطت خطوة جديدة في حياتها العقلية، وحركاتها العلمية، وكان ذلك نتيجة طبيعية لكل ما أحاط بها من بيئة طبيعية واجتماعية، فقد ظل الدين أساس كل الحركات العلمية إلى أواخر هذا العصر، وما ظهر في هذا العصر من دراسات

دنيوية من طب وصناعة وغير ذلك فقليل، وأكثر من اشتغل بها كان من غير المسلمين، وسرعان ما اقتنع العلماء بالإسلام وآمنوا به إيمانًا صادقًا لا مجال للشك فيه. (سليمان، ٢٠٢٣، ٦٢)

كما ازدهرت علوم اللغة العربية بفروعها، كعلم النحو، وفقه اللغة وعلم البيان وعلم الأدب، وازدهر الشعر وتجددت موضوعاته، هذا بالإضافة إلى ظهور علم العروض على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠. ١٧٠هـ)، (ابن خلدون ١٩٨٤، ٥٥٤)، وقد بدأت العلوم الدنيوية تزدهر في البلاد الإسلامية وأصبحت العلوم تتمايز بعضها عن بعض مع بداية العصر العباسي حيث اهتم الخلفاء العباسيون بالطب والكيمياء والطبيعة وغيرها من العلوم التي تخدم المسلمين، وحرصوا على الاستفادة من الأعاجم في هذه المجالات؛ بهدف تحقيق النهضة العلمية للمجتمع الإسلامي. (أمين، د.ت، ٨-٩)

ويرجع الفضل إلي الخليفة أبي جعفر المنصور في توجيه العلماء من الانتقال من مرحلة التلقين الشفوي إلى مرحلة التدوين والتوثيق في كتب وموسوعات، وهذا ما أكده (بن حجر، ١٩٨٦، ٢٠١) بقوله: في ذلك العصر دونت العلوم وعرفت طريق الاستقرار، ففي سنة (١٤٣هـ) شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل ذلك العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة.

وقد تنوعت المناهج وطرق التدريس في ذلك الوقت بحسب كل مدرسة فهناك مدارس اتخذت المنهج العقلي، وأخرى اعتمدت على المنهج الذوقية والتربية الروحية وثالثة مالت إلى النهج النقلي، وأخرى إلى التوسط بين كل من هذه الاتجاهات وأخذت من كل منهج وقد كانت الرحلة في طلب العلم جانباً مهما من الحياة الفكرية في ذلك الوقت (الشريف ـ ٢٠١٢، ٣٧)

ولعل من أهم أسباب النهضة العلمية والحضارية في هذه الفترة الزمنية : انتشار الإسلام واستقرار العرب ونمو السلطان السياسي للأمصار والتطور الحضاري المادي، وهي بيئة تدعو للبحث عن أفاق جديدة في الحياة والتطلع إلى كل جديد، وقد تسابق الخلفاء والأمراء في اختيارهم مؤدبين لأولادهم ومؤانسين لهم، وأطلق على من اشتغلوا بتأديب أبناء الملوك "المؤدبون"، يقول الجاحظ: "والمعلمون عندي على ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة" (الجاحظ، ١٩٦٨، ١٣٧).

ولقد كان القرن الثاني الميلادي في مصر فترة من المخاض الفكري الكبير، تميزت بتطور الفقه الإسلامي والمشاركة النشطة في التأثيرات الثقافية المتنوعة، وظهر الإمام الليث كعالم رائد ومؤسس لمدرسته الفقهية ضمن هذه البيئة الديناميكية يسلط الضوء على حيوية الحياة الفكرية في مصر في ذلك الوقت، كما أن تفاعلاته مع علماء من مناطق أخرى تؤكد الترابط بين المجتمع العلمي الإسلامي المبكر، وكان العلم في هذه الفترة يؤخذ بالتلقي المباشر من ينابيعه الممثلة في كبار العلماء عن طريق التلقي المباشر من أفواه العلماء وتتميز هذه الطريقة بالتفاعل بين المعلم والتلميذ، والاتصال المباشر بينهما، وما تضيفه من حيوية وحميمية، وفرصة للمراجعة المتصلة للتصويب والتصحيح، ومراعاة الأبعاد الإنسانية.

ولقد خدمت الفسطاط بمسجدها عمرو بن العاص، كمركز مبكر للنشاط الديني والفكري لاحقاً، وأصبحت العسكر أيضًا مركزاً حضاريًا مهمًا بعد تأسيسها في عام ٧٥٢م، ومن المحتمل أنها

استضافت تجمعات علمية، كانت مصر تتمتع بتاريخ طويل من التعليم، واستمر هذا التقليد في العصر الإسلامي. (عثمان، ١٩٨٨، ٦٥)

ولقد ترسخت في تلك الحقبة الزمنية بعض المبادئ العلمية والتي كانت محل تقدير واحترام من كل فئات المجتمع ومنها:

أولاً: احترام العلم ورفع مكانته.

لقد ساد الوسط العلمي والاجتماعي في تلك الفترة مبادئ علمية متعلقة بالنظرة الإيجابية للعلم والعلماء، حتى صار الاحترام والتقدير للعلم مبدأ راسخاً وتقليداً محترماً، بل صار هذا المبدأ العلمي من أهم المبادئ العلمية الإسلامية الراسخة التي سادت في ذلك العصر في أوساط العلماء وطلاب العلم، وطائفة كبيرة من أبناء المجتمع، وهو مؤشر فيما يظهر يدل على مستوى الوعي عند أبناء المجتمع، ومؤشر إيجابي واضح على المستوى المعرفي المتقدم الذي كان يميز تلك الفترة؛ مما جعل للعلم تلك المكانة في المجتمع بكل فئاته وانعكس على العلماء أنفسهم بما نالهم من تقدير وما حظوا به من مكانة في الوسط العلمي والوسط الاجتماعي. (الأنسي، ٢٠١٥، ٦٠)

ومما يدل على تقدير العلماء أنفسهم للعلم ومعرفتهم لمكانته في المجتمع ما ورد عن عمرو بن الحارث بن يعقوب (ت/ ١٤٨هـ) حيث يقول: الشرف: شرفان: شرف العلم وشرف السلطان، وشرف العلم أشرفهما (المزي، ج ٢١، ٥٧٦)، وتأكيدا على مكانة العلم وأهميته في نفوس وحياة أولئك العلماء يقول مسعر بن كدام (ت/ ١٥٥هـ) "العلم شرف الأحساب، يرفع الخسيس في نسبه، ومن قمد به حسبه نهض به أدبه" (الأصبهاني، الحلية، ج ص ٢١٤).

لقد كان للعلماء أنفسهم الدور الأكبر في رفع شأن العلم وفي تقدير المجتمع للعلم والعلماء من خلال سلوكهم وتعاملهم الحياتي اليومي مع كل من حولهم، قال حمدان الأصبهاني: " كنت عند شريك النخمي (ت / ١٧٧هـ) وأتاه بعض ولد المهدي فاستند إلى الحائط فسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا، ثم أعاد فعاد بمثل ذلك، فقال: يعني لشريك كأنك تستخف بأولاد الخلافة، قال: لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه ثم سأله فقال شريك: هكذا يطلب العلم" (الذهبي ، ٢٠٠٨، ٢٠٧)، وبهذا السلوك وهذا الموقف الحازم يرفع العلماء من شأن العلم، وبسلوكهم هذا يعلمون المجتمع كيف يقدر العلم ويجل، وكيف يحترم العالم ويبجل، لا أن يقوم بعضهم بالتزلف والمهادنة والنفاق وإهانة العلم والدين بوقوفه على أبواب الوزراء والأمراء والمسئولين مقابل الحصول على عمل أو تحقيق مصلحة أو الحصول على حفنة من المال، أو تحقيق أي شهوة دنيوية زائلة.

ثانياً: تقدير العلماء لبعضهم البعض.

من المبادئ العلمية التي كانت سائدة في أوساط علماء القرن الثاني الهجري العلاقة التي كانت تربط العلماء ببعضهم، والتي كانت تنطلق من الاحترام المتبادل والتقدير: ذكر بعضهم لبعض بالخير، وذكر المحاسن والتغاضي عن السلبيات أو المساوئ وتبجيل بعضهم لبعض، بعيدا عن التزلف أو النفاق والكذب، وهي صفات ضرورية يشترط توفرها يفرضها العلم على حامليه، وفيما يلي بعض هذه الممارسات التي تدخل ضمن هذا المبدأ العلمي الذي ساد في ذلك العصر:

قال عبد الرزاق بن همام الصنعاني: كنت إذا رأيت ابن جريج (ت/ ١٥٠هـ) علمت أنه يخشى الله قال وما رأيت مصلياً قط مثله (البغدادي، ١٩٨٣، ٤٠٣)، وقال بشر بن الحارث أربعة رفعهم الله بطيب المطعم: وهيب بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الورد (ت/ ١٥٣هـ)، وإبرا هيم الخواص (الأصبهاني، ١٩٨٠، ج٨ ، ١٤٠)، وسئل ابن جريج عن شيء من التفسير فأجاب فقيل له: إن معمراً بن راشد (ت/١٥٣هـ) قال: كذا وكذا، فقال: إن معمراً شرب من العلم بأنفع، وقال ابن جريج: "عليكم بهذا الرجل يعني معمرا فإنه لم يبق من أهل زمانه أعلم منه (ابن منظور، ١٩٨٤ ،

ج ٢٥ ، ١٤٢) ويتضح الايثار هنا من كلام بن جريج حيث وصف معمراً بالتبحر في العلم، وقدمه على نفسه اعترافاً بعلمه ومكانته وإنصافاً له وقولاً للحقيقة ، وفي هذا السلوك دليل على ما يعطيه العلم لحامليه من مكانة، وما يفرضه العالم العامل بعلمه من احترام الآخرين له سواء كانوا من الحكام أم من العامة أم من اخوانه العلماء.

ومما يدخل في تقدير العلماء وثنائهم على بعضهم ما ذكر عن الليث بن سعد (ت/ ١٧٥هـ) في ثنائه على الزهري، قال عمرو بن خالد الحراني: "قلت لليث يا أبا الحارث بلغني أنك أخذت بركاب الزهري؟ قال: للعلم، فأما غير ذلك فلا والله ما أخذت بركاب والدي الذي ولدني)) (ابن منظور، ١٩٨٤م، ج ٢١، ٢٤٨)

ومن الثناء الوارد في حق من يستحقه عبد الرحمن بن مهدي متحدثاً عن بعض زملائه من العلماء: "ما رأيت أعقل من مالك بن أنس، ولا أشد تقشفاً من شعبة، ولا أنصح للأمة من عبد الله بن المبارك" (البغدادي، ١٩٨٣م، ج ٢، ٨٦)، وقال أحمد بن حنبل: "ما رأيت رجلا قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب، مع خشوع وورع، وقال: ما رأت عيني مثله قط يحفظ الحديث جيدا، ويذاكر بالفقه فيحسن مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد". (البغدادي، ١٩٨٣، ج ١٣، ٤٧٤)

تلك كانت بعض الممارسات العملية لهذا المبدأ العلمي من بعض علماء القرن الثاني فيما يتعلق بعلاقتهم العلمية بإخوانهم العلماء، وهو سلوك يتميز بالتقدير والاحترام والذكر الحسن لهم، ويأتي عرض تلك الممارسات العلمية والخلفية للعلماء بهدف الاقتداء والتأسي بها من قبل العلماء والمعلمين والدعاة وطلاب العلم في العصر الحاضر لما فيها من فوائد تربوية كثيرة، إذ ينبغي عليهم أن يذكروا إخوانهم العلماء من أقرانهم فضلا عن ذكرهم لعلمائهم ومشايخهم بالخير، وأن يقدرونهم ويحترمونهم.

ثالثاً: تقدير المجتمع للعلماء.

إن المبادئ العلمية التي تؤكد احترام وتقدير العلماء من قبل شرائح المجتمع المختلفة الخاصة منها والعامة كثيرة متعددة ومنها مبدأ تقدير واحترام المجتمع بكل فئاته للعلماء وهو تقدير واحترام نابع من ثقافة مجتمعية منتشرة ومعرفة حقيقية بقدر ومكانة وفضل العلم، وهكذا يأتي هذا التقدير من المجتمع من معرفة لسلوك العلماء وتقديرهم لخطورة المهمة التي يحملون، وهي حمل العلم فعرفوا ذلك واستشعروا المسؤولية التي تقع على العلماء فقدروها حق قدرها فانعكس ذلك على المجتمع الذي يعيشون فيه، فعرف لهم الفضل وحفظ لهم المكانة، وهذا عام في المجتمع كله حكامه ومسؤوليه وعامة المجتمع.

ومما يؤكد على ما يحظى به العلماء المخلصين العاملين من تقدير واحترام من قبل الحكام ما ذكر عن محمد بن واسع (ت/١٢٢هـ) أنه غذا مع قتيبة بن مسلم، فأصابتهم شدة حتى خافوا الهلاك، فقال قتيبة: انظروا محمد بن واسع؛ فطلب فوجدوه في صحراء قائماً على ركبتيه يدعو ويشير بأصبعه، فأخبر قتيبة بذلك فقال: قتيبة: احملوا على القوم فإن الله لا يضيع جيشاً فيهم محمد بن واسع... (ابن منظور، ١٩٨٤، ج ٢٣، ٢٨) ، وهذا السلوك من قتيبة دليل على مكانة العلم والعلماء في نفوس القادة وأمراء الجيوش، وهو سلوك يبين كيف كانوا يقدرون العلم والعلماء، ويقدرون الجانب الديني واليقين الصادق والصحيح كعامل هام من عوامل النصر على العدو.

وفي هذا الموقف ما يشير إلى أن العالم الذي يحترم نفسه و علمه ويعرف مكانة العلم وحامليه ومسئوليتهم أمام الله والناس فإنه بذلك يفرض احترامه على الناس فرضاً، بل إن الحاكم ولو لم يكن متفقاً معه، فإنه يحترمه ويقدره لأنه عرف أنه أهل لأن يحترم ويقدر وعلم أنه لا يتنازل عن مبادئه وعن مواقفه المنطلقة من إخلاصه لله رب العالمين، ولا تغره الإغراءات المادية الزائلة مهما

يكن حجمها، بل يرفضها ويرضى أن يعيش فقيراً معدماً، مرفوع الرأس، لا يتنازل عن مبادئه وقيمه، ولا يرضى لنفسه أن يكون قدوة سيئة للناس في مجتمعه، مقابل منصب أو مال زائل.

ومن المواقف التي تشير إلى احترام الحكام للعلماء وتقدير مكانتهم ما ذكره أبو معاوية الضرير(ت/١٩٥هـ) قال: أكلت مع الرشيد هارون طعاماً يوماً فصب على يدي رجل لا أعرفه فقال الرشيد: يا أبا معاوية هل تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالاً للعلم"(ابن منظور، ١٩٨٤، ج ٢٧، ١٣)، ويدل هذا على تقدير الحكام للعلماء وإجلالهم للعلم، ومعرفتهم قدره وقدر من يحمله.

تلك كانت بعض المواقف التي تشير إلى تطبيق ذلك المبدأ العلمي من سلوك بعض الحكام والأمراء وسائر أفراد المجتمع من الاحترام والتقدير للعلماء

وانطلاقاً من هذه المبادئ يري الباحثان ضرورة العمل على إرساء وترسيخ هذه المبادئ بما لا يتعارض مع العصر الذي نعيشه، ونحن في حاجة ماسة إليها في ميدان الفعل والتطبيق والممارسة في المؤسسات العلمية وفي أوساط العلماء وطلاب العلم؛ بل وفي ثقافة المجتمع المعاصر حتى تسهم هذه الممارسة بفعالية في تقدم العلم، وتعمل على رفع مكانة العلماء في المجتمع، وهي مبادئ علمية ترسم صورة حقيقية لما كان للعلم من مكانة ورفعة، ولما كان يحظى به العلماء من تقدير وحب واحترام وتعظيم في نفوس العامة والخاصة، مما ينبغي أن يدفع أفراد المجتمع إلى الاقتداء بهم في تقدير العلم والعلماء.

المحور الثالث: المبادئ التربوية المستنبطة من فكر / عمل الليث ابن سعد وكيفية الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر.

لم يكن الإمام الليث مجرد ناقل للعلم، بل كان مربيًا حكيمًا، ترك بمنهجه في الحياة والتعامل أثرًا تربويًا كبيرًا، وقد انعكس منهجه بشكل واضح على تلاميذه الذين أصبح الكثير منهم أئمة وعلماء يُشار إليهم بالبنان، مثل عبد الله بن وهب، وأشهب بن عبد العزيز، وغيرهم فلم يتخرجوا من مدرسته علماء فقط، بل تخرجوا مربين يحملون همّ العلم والعمل، وينقلون ليس فقط علمه وفقهه، بل أيضًا أخلاقه وآدابه ومنهجه في التربية، كما أن منهجه القائم على التسامح واحترام الرأي الآخر ساهم في إثراء الحركة العلمية والفقهية في عصره، ومن خلال تحليل المصادر المتاحة، أمكن استخلاص عدد من المبادئ والأسس التي شكلت المنهج التربوي للإمام الليث، ومن أبرزها:

أولًا: التأكيد على الأخلاق والقيم في التعليم.

لم يفصل الإمام الليث بين نقل العلم (التعليم) وغرس القيم والأخلاق (التربية)، كانت حلقاته العلمية محاضن للتربية الشاملة التي تهتم ببناء شخصية الطالب بناءً متكاملاً: علميًا، وخلقيًا، وروحيًا، وقد أكدت المصادر على ورع الإمام الليث وتقواه وزهده، مما جعله قدوة حية لتلاميذه، فلم يكن علمه نظريًا مجردًا؛ بل كان سلوكًا معاشًا، فقد تبين من خلال المراسلات التي تمت بين الامام مالك بن أنس والإمام الليث بن سعد إخلاصه في طلب العلم فلم يسع أي منهما - مالك والليث - إلى الانتصار لنفسه، ولم يسعيا إلى ابتغاء غرض دنيوي، كتحصيل مال أو جاه أو تحقيق شهرة أو مغالبة خصم والظهور عليه، بل كان قصدهما ابتغاء وجه الله- تعالى وطلب الحق وتوصيله إلى الآخرين.

وقد تجلت مظاهر التقدير والاحترام والتواضع والأخوة والمحبة العظيمة المتبادلة بين الإمامين الليث ومالك في رسائلهما، ومن عبارات التواضع والثناء الجميل وصف مالك لليث بقوله: ((وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاء منك))، فهو يدعو له بالبقاء وتوفيق الله له، ويذكر له قيمته العلمية وما في ذلك من منفعة للناس، كما

برز تواضع الإمام الليث في طلب العلم، فلم يستكبر على طلب العلم من الإمام مالك - وهو صنوه وقرينه - فأرسل إليه يستوثق من كتب منسوبة إليه، فيسارع مالك في إجابته، ويراجع تلك الكتب، ويختمها بخاتمه ويعطيها لرسول الليث ، وقد رأينا الليث لا يختار لنفسه وصف الإمام أو الفقيه أو المجتهد، وإنما يكتفي بكلمات دالة على قمة التواضع إذ يصف نفسه بأنه ينسب للعلم، فيقول: "وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا أخذا لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني".

كما تبين أيضا من خلال هاتان الرسالتان أذابا عظيمًة من أهم آداب العالم وتتمثل في الورع والتقوى في الحديث والفتوي والخشة من الخطأ والتجرد والانصاف، وقبول النقد والمراجعة قال الشافعي: "قيل لليث في مسألة. فقال: لا أدري. فقيل له: تقول لا أدري ولك منزلتك؟ فقال: نعم، وليس كل ما سئل عنه العالم يجيب فيه" هذا درس في الأمانة العلمية والتواضع، فلم تكن الرسائل بين مالك والليث مجابهة، وإفحام، وإنما كانت حوارًا هادئًا بريئًا من التعصب والعنف بعيداً عن الهوى والانفعال، خالصا لطلب الحق، ساعياً إلى الوصول إليه، يتسم باللطف والرحمة والنصح في الخلوة وهذا الحوار هو الذي يوصل إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء. (هاشم، ٢٠٢١، ٣٣٢)

وكان مقصود أئمة السلف المناصحة بإظهار الحق، وكانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر، فكانوا يقبلون الحق ممن أورده عليهم - وإن كان صغيراً - ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم، ولذا يعيب ابن الجوزي على الفقهاء الذين يجحدون الحق، ويرى أن هذا من تلبيس الشيطان عليهم، فيقول: "ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه، فلا يرجع، ويضيق صدره: كيف ظهر الحق مع خصمه؟! وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق، وقد قال الشافعي رحمه الله: ما ناظرت أحدًا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هبته، وما ناظرتُ أحدًا فباليت مع من كانت الحجة؟ إن كانت معه صرت إليه".(بن الجوزي، ١٩٩٢م، ١٠٨)، وقال أيضا: "ما ناظرتُ أحدًا قط إلا أحببت أن يُوَفّق ويُسدد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه".(الأصبهاني، ١٤٠٩ه، ج٩ ، ١١٨)

فالمبادرة إلى الرجوع عند ظهور الحق مع صاحبه وترك ما سواه من خصال أهل الإنصاف، كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما -:"... ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل..." (ابن خلدون،١٩٨٨ ،ج١، ٢٧٥)

ونجد هذا التجرد والإنصاف واضحا وجليا في كلام الليث السابق، إذ يتجلى الإنصاف عنده في أكثر من موضع من رسالته، منها: حكايته لرأي مالك باختصار في مقدمة رسالته وموافقته لمالك فيما أثبته من وجوب الأخذ بالكتاب والسنة، ومكانة مدينة رسول الله _ ﷺ- وفضل علمائها، ثم عقب على كلامه بقوله: "وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى، ووقع منى بالموقع الذي تحب"، كذلك موافقته لمالك فيما ذكر من مقام الرسول بالمدينة ونزول القرآن بها عليه إذ يقول: "وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا به تبعا لهم فيه فكما ذكرت"، ومن الإنصاف ذكر إيجابيات المحاور وموافقته فيما يصدر عنه من حق، وممارسة العدل معه، فالمسلم رائده الحق والحكمة ضالته، والحق رائده يأخذه ويقر به - بلا غضاضة - من أي طريق جاء.

وفي حديث الليث عن خلاف التابعين ومن جاء بعدهم ذكر خلافه لربيعة بن أبي عبد الرحمن في بعض المسائل وموافقة مالك في إنكاره على ربيعة ومع هذا الاختلاف بينهم وبين ربيعة

فإنه يثني عليه بأحسن الثناء ويمدحه ويدعو له، يقول الليث ((ومع. ذلك - يحمد الله - عند ربيعه خير كثير وعقل أصيل ولسان بليغ وفضل مستبين وطريقة حسنة في الإسلام ومودة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمه الله وغفر له وجزاه بأحسن من عمله)). (ابن خلدون، ١٩٨٨م، ج١، ٢٧٥) فهذا هو الإنصاف في أجلى صوره، وقد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بالعدل والإنصاف، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كُونُوا قَوامِينَ لِلهِ شَهِدَاء بالقسط ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إن الله خبير بما تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٨) يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: " أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا". (ابن كثير، ١٩٩٨م، ج٢، ١٧٦)

ومن دلائل ذلك ما جاء في خلافه مع قاضي مصر إسماعيل بن اليسع، فقد اختلف معه في أمر فقهي علي ما تقدم ، وكتب إلي الخليفة في عزله، غير أنه لم ينس أن يذكر محاسن الرجل وخلاله الطيبة، وأنه لم ينقم عليه في مسلك شخصي يشين صاحبه أو يزري به، فقد جاء في كتابه للمهدي في أمر عزله: " أنك وليت رجلاً يكايد سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم بين أظهرنا، مع أنا ما علمنا عليه في الدينار والدرهم إلا خيرا (الكندي، ٢٠٠٣م، ٢٨١)، وفي رواية أخري "إنا لم ننكر عليه شيئا غير أنه أحدث أحكاما لا نعرفها" فتراه هنا لم يسفه علي الرجل أو ينال من أمانته وعفته ، كلا وإنما هو يذكر ما ينقم عليه فقط، وكان يمكن له ألا يتعرض لذكر مزاياه، ولو فعل هذا ما لامه أحد، لكن الإنصاف يأبي عليه إلا أن يذكر محاسن الرجل تماما كما ذكر ما يؤخذ عليه.(عبد اللطيف، ٢٠٠٩ ، ١٠٥)

يتبين لنا مما سبق أن الليث بن سعد يمثل نمطا فريداً من الرجال الذين يبدون رأيهم ويجابهون مخالفيهم، دون أن تحملهم هذه المخالفة علي التجني عليهم أو النيل منهم بغير الحق بل تراهم متجردين للموضوعية بعيدين عن الإسفاف، وهكذا كان الليث عندما يختلف مع الآخرين فلم يكن للهوي عليه سبيل، فهو يعطي كل ذي حق حقه وذلك شأن الكبار من العلماء.

وفي ضوء ما سبق يظهر جليا تأكيد الإمام الليث بن سعد علي أهمية التربية الخلفية والسلوك الحسن، وعلى ضرورة أن يرتبط العلم بالخلق الكريم والأدب الرفيع، كما يؤكد على أن اتصاف العالم وطالب العلم بالخلق الحسن أكثر أهمية من اتصافه بالعلم النظري المجرد وحده دون الخلق، وهو يشير بكلامه هذا إلى أهمية أن يتحلى طلاب العلم بآداب التعلم قبل الشروع في التعلم.

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على أهمية دمج القيم الأخلاقية في المناهج وتعزيز بيئة تعليمية تُنمي هذه القيم وذلك من خلال.

- غرس القيم الإسلامية والعقدية والسلوكية في نفوس المتعلمين وبناء تصوراتهم للكون والحياة والإنسان وفق هذه القيم، مما يؤثر إيجاباً في تعديل ميولهم واتجاهاتهم وسلوكياتهم ويجعلهم على استعداد لتمثل هذه القيم ونشرها في محيطهم الاجتماعي
- بناء شخصية العالم الرباني المتواضع الذي يقبل علي العلم بنية خالصة، ويبتغي مرضاة ربه تعالى، ويرجو رحمته ورضاه في جميع أقواله وأفعاله، ويرتقب الأجر من الله تعالى، ويتجرد في مناقشاته من حظوظ النفس واجتناب الهوى والبعد عما بين القرناء من التشاحن والتباغض.
- غرس قيمة الصدق في طالب العلم حتى لا تحمله الرغبة في حب الظهور على الكذب فإن الكذب مذموم، ويزداد إثمه إذا كان مطية لضياع الحق ونصرة الباطل؛ لأن فساده يتعدى إلى أديان الناس وعقائدهم، ولهذا إذا سئل العالم عن شيء لا يعلمه، فليقل: لا أعلم، وليتأدب بالهدى القرآني حيث يقول تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا ليس للك بِهِ عِلم إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ والفؤاد كل أولئك كان عنهُ مسئولا) (الإسراء: ٣٦)، وليكن له في رسول الله

ﷺ الأسوة الحسنة.
- أهمية تربية طالب العلم علي التواضع وتجنب العجب والغرور والكبرياء والبعد عن التعالي والمباهاة وإظهار الفضل على غيره، ولا يسعى إلى الانتصار لنفسه، ولا يحتقر الناس ولا يتكبر عليهم بل يقدرهم ويحترمهم.
- التأكيد على أهمية اختيار المعلمين الأكفاء علميًا وخلقيًا ليكونوا قدوة حسنة.
- توجيه الأنشطة اللامنهجية والمشاريع المجتمعية نحو ترسيخ القيم.
- وضع استراتيجية واضحة للتعامل مع السلوكيات غير الأخلاقية كالردع التربوي.
- تقديم الدعم المستمر للطلاب لتعديل سلوكهم.

ثانيًا: التربية على أدب الحوار والمناظرة واحترام الاختلاف

وهو أسلوب من أهم أساليب التربية الإسلامية ومنهج للدعوة والإصلاح يقصد به إقامة الحجة، ودفع الشبهة، وبيان الفاسد من الأقوال، وهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها وتراثنا الإسلامي مليء بالكثير من نماذج الحوار والمناظرات المثمرة بين الأئمة والعلماء، وللحوار أهمية كبيرة ودور مهم في التواصل والتفاهم مع الآخرين، فهو وسيلة للتعارف والتآلف ذلك لأنه يترك المجال للأطراف المتحاورة لإبداء وجهات النظر وتبادل الآراء وتلاقح الأفكار؛ مما ينتج عنه تصحيح المفاهيم وحل المشكلات وتجاوز العقبات، ومن ثم تسود المحبة والألفة بين أفراد المجتمع. (هاشم، ٢٠٢١، ٣١٣)

فلا يُقصد من الحوار مجابهة الخصم وإقحامه ومحاولة الظهور عليه وتعجيزه عن الرد، وإنما المقصود والغاية منه الوصول إلى الحق، فهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، يقول الحافظ الذهبي: " إنما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف" هذه هي الغاية الأصلية، وهي جلية بينة، وثمت غايات وأهداف أخرى منها: (الزرقاني، ١٩٩٦، ج٧، ٤٧٠)
- تشييد جسر للتواصل السلمي البناء وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات.
- البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرؤى والتصورات المتاحة من أجل الوصول إلى نتائج أفضل.
- التعرف على وجهات نظر الطرف الآخر وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار.
- العمل على استكشاف ما عند المحاور من معلومات غير صحيحة ومما في وجهات نظره أو مواقفه من أخطاء والعمل على تداركها وإصلاحها، العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه -كليا أو جزئيا - في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها
- تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا
- تقريب وجهات النظر، وتضييق هوة الخلاف، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف.
- كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

والقرآن مليء الشواهد التي تدعم طريقة الحوار والمناقشة، تقوم هذه الطريقة على تعريف المتعلم بالأساس العقلاني والمنطقي لأي قضية مطروحة أمامهم، وتؤكد في نفوسهم عدم جواز أخذ المعلومات دون الاقتناع بها وفهمها، وأهميتها لواقعهم الاجتماعي، أو أهميتها الفردية، وتشير هذه

الطريقة إلى أهمية إتاحة الفرصة لهم للمناقشة الجادة البناءة التي تحلل ابعاد الموضوع المطروح، وتلقي الضوء على جوانيه المختلفة (كايد، ٢٠٠٥، ٢٠٠)، وتعد هذه الطريقة من أهم الطرق التي اتسم بها منهج الليث بن سعد في تعامله مع طلابه واتضحت من خلال رسائله ومراجعاته ومناظراته مع الإمام مالك بن انس.

وتتضح أهمية الحوار عندما ننظر إلى واقع الناس في مختلف الأعصار والأمصار وما يتصفون به من الاختلاف والتعدد، والذي هو سنة من سنن الله في الكون، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته، وطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومدركاتهم ومعارفهم وعقولهم يقول تعالى: **(ومن آياته خلق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض واختلاف السنيكم والوانكم إن في ذلِكَ لَآيَاتٍ لِلعالِمينَ)** (الروم: ٢٢).

إن منهج الجدل والحوار الإسلامي قادر على احتواء جميع الصراعات والاختلافات، فقد احتوى هذا المنهج الصراعات مع الأديان الأخرى وانتصر واتسع فكيف لا يتحمل الحوار بين المسلمين؟ إن الفكر الديني المستنير هو ضرورة مهمة لأي بناء حضاري، ولن يكون هنالك فكر ديني مستنير إلا في ظل الحوار الإسلامي" (كامل، ٢٠٠٤، ٥٣) (هاشم، ٢٠٢١، ٣١٤).

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على أهمية تربية طالب العلم علي:

- الالتزام بأدب الحوار والنقاش والخلاف.
- الحوار العلمي القائم على الاحترام المتبادل والحجة والبرهان.
- طرح الأسئلة، وتعويدهم إبداء الرأي مما ينمي القدرة على التفكير النقدي والاستدلال.
- البحث عن الحقيقة والاستناد إلي الدليل فلا يستبد برأيه بل يعرض الأدلة ويناقشها بأمانة وموضوعية، **ويمكن للمؤسسات التربوية تحقيق ذلك من خلال:**

- توفير مساحات آمنة للطلاب لمناقشة القضايا المختلفة.
- تعزيز مهارات التواصل الفعال.
- ممارسة تطبيقات عملية في البيئة التعليمية تنمي مهارات الحوار والتواصل مثل مسابقات أو ندوات تتضمن الحوارات الطلابية، أو ورش العمل تدريبية تخصص لتعليم الطلاب مهارات الحوار والمناظرة.

ثالثًا: دعم وتقدير المعلمين والباحثين.

يعد دعم وتقدير المعلمين والباحثين مادياً ومعنوياً هو حجر الزاوية في بناء نظام تعليمي وبحثي قوي ومستدام، فبناء ثقافة تقدير ودعم المعلمين والباحثين ليس رفاهية؛ بل هو ضرورة لضمان جودة التعليم وتقدم البحث العلمي، مما ينعكس على المجتمع بأكمله، وهذا ما حرص عليه الإمام الليث بن سعد، فالبرغم من الثراء الواسع والنعمة التي بسطها الله تعالى له، لم يسع إلى اكتناز المال؛ بل كان آية في الجود والكرم، ومثالا حيا للغني الشاكر، و تجمع الروايات وتنقل المراجع أنه ما وجبت عليه زكاة قط لأنه كان يتصدق بماله كله وينفق ما تقع عليه يده، ولا يدخر من ماله شيئًا، فإذا حال عليه الحول لا تجب عليه الزكاة في ماله، بل قد يكون - أحيانا كثيرة - مدينا لكثرة إنفاقه وجوده قال محمد بن رمح: " كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة".(الذهبي، ٢٠٠٨ ، ج ٨، ١٥٢)(ابن حجر، ١٩٨٧، ٦)

وكان يرسل الأموال والهدايا للعلماء والطلاب في مختلف الأمصار، مثل الإمام مالك وعبد الله بن لهيعة وغيرهم، هذا الكرم لم يكن مجرد عادة، بل كان جزءًا من رؤيته لدعم العلم وأهله، وتفريغهم لطلب العلم ونشره، لقد اعتبر الليث نفسه ومالكا شخصا واحدا، وكان يعرف أن مالكا سخي ويقصده الناس من مختلف الجهات، وله تلاميذ يلزمون حلقته ويعولهم، فهو في حاجة دائمة إلى المال، فكان الليث يمده بالمال وغيره مما يحتاج إليه، قال ابن وهب " كان الليث بن سعد يصل

مالك بن أنس بمائة دينار في كل سنة، فكتب إليه مالك: إن علي دينًا، فبعث إليه بخمسمائة دينار".(ابن خلكان، ١٩٧١، ج٤، ١٣٠) (الذهبي، ٢٠٠٨، ج٨، ١٤٨)

فقد أدرك الإمام الليث أن الحاجة المادية قد تكون عائقًا كبيرًا أمام طلب العلم، فكان ينفق على طلابه بسخاء، ويوفر لهم احتياجاتهم، ويساعد المحتاجين منهم، مما يوفر لهم بيئة مستقرة ومحفزة للتعلم وتشجيعهم على التفرغ لطلب العلم دون حمل هموم المعيشة، كما يغرس فيهم قيمة العلم وتقدير أهله وهذا يمثل بعدًا تربويًا مهمًا في تحمل المعلم لمسؤولية تلاميذه وتهيئة البيئة التعليمية ولم يقتصر دعم الليث لطلابه على الجانب المادي فقط بل كان يشمل الدعم المعنوي، حيث كان يشجع طلابه، ويثني على جهودهم، ويفتح لهم باب النقاش والحوار، ويعاملهم كأبنائه.

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على أهمية:

- التقدير المادي والمعنوي للمعلمين والباحثين في المؤسسات وتشجيعهم على الابتكار والإبداع للنهوض بالمجتمع في كافة المجالات.
- تفعيل نظام الوقف الإسلامي وتشجيع الجهود الذاتية والمشاركة المجتمعية في الإنفاق على العملية التعليمة.
- توفير بيئة تعليمية داعمة تهتم بالجوانب النفسية والاجتماعية للطلاب إلى جانب التحصيل العلمي.

رابعًا: الحب والاحترام المتبادل والتناصح بين العلماء

الحب والاحترام والتناصح بين العلماء ليست مجرد مُثل عليا؛ بل هي ركائز أساسية يمكن أن تُترجم إلى تطبيقات تربوية عملية وفعالة تسهم في بناء جيل جديد من العلماء والباحثين يتسمون بالنزاهة والتعاون والرغبة الصادقة في خدمة المعرفة والبشرية، فعندما تتجسد هذه القيم في البيئة الأكاديمية، يتعلم الطلاب دروساً عميقة تتجاوز المناهج الدراسية، فلا يمتلكون المعرفة فحسب؛ بل يمتلكون قيماً إنسانية نبيلة تعزز التقدم العلمي والأخلاقي للمجتمع بأثره.

وحياة الإمام الليث بن سعد ثرية بالمواقف التي تبين هذا الحب والاحترام المتبادل والتناصح بينه وبين غيره من علماء عصره، فقد التقى الإمام الليث بن سعد عالم أهل مصر بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وعالم أهل الحجاز مرات عديدة، وكان الإمام الليث يحج ويذهب إلى المدينة لزيارة مسجد النبي- صلي الله عليه وسلم-، فيلتقي في رحاب المسجد النبوي بالإمام مالك الذي كان يلقي دروسه في المسجد، وكان يبادله المحبة في الله، ويقول: "إني لأدعو لمالك في صلاتي"، وذكر من حاجة الناس إليه في الفتيا وكان مالك يستضيف الليث في بيته ويرحب به، ويُجله ويُقدره، وكان إذا نقل عن الليث قال: " حدثني من أرضى من أهل العلم" (عياض ،١٩٦٥ ، ج ١، ١٧٠) (ابن حجر،١٩٨٧ ، ٨) (هاشم، ٢٠٢١، ٣١٥).

وقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة من رسالة كتبها مالك إلى الليث ينصحه فيها من الركون إلى الأكل المترف والملبس الناعم واللهو في الأسواق عن العلم، وقال مالك فيها: "بلغني أنك تأكل الرقاق، وتمشي في الأسواق"، فكتب إليه الليث بن سعد: (قل من حرمَ زِينَة الله) (سورة الأعراف، من الآية: ٣٢) (هاشم، ٢٠٢١، ٣١٦)

ومن تلك الرسائل الماتعة والمفيدة رسالة الإمام الليث إلى الإمام مالك والتي بعثها ردا على رسالة أرسلها له مالك، حيثما بلغه أن الليث يفتي في بعض المسائل بمصر بما يخالف ما عليه العمل بالمدينة، فكتب إليه هذه الرسالة، وافتتحها بمقدمة رائعة كلها ود والفة فألقى عليه تحية الإسلام وحمد الله تعالى، ثم دعا له مظهرا فرحه وانشراح صدره وسروره بما علمه من صلاح حال الليث داعيًا الله تعالى أن يديم عليه تلك النعمة، يقول مالك: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد عصمنا الله وإياك بطاعته في

السر والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه، كتبت إليك وأنا ومن قبلي من الولدان والأهل على ما تحب، والله محمود أتانا كتابك، تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذي أنا به مسرور، أسأل الله أن يتم على وعليك صالح ما أنعم علينا وعليك، وأن يجعلنا له شاكرين)).

وقد رد الليث على مالك في رسالة طويلة، افتتحها بمقدمة رائعة - كذلك - وبدأها بالسلام والتحية، وأثنى فيها على مالك، مؤكدا على سروره بما علمه من صلاح حال مالك داعيا الله تعالى أن يديم عليه تلك النعمة، يقول الليث:" سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه".

فهاتان المقدمتان تظهران - بما لا يخفى - المحبة العظيمة والأُخوَّة العميقة والمودة المتبادلة بين الإمامين العظيمين. ومن يقرؤهما لأول مرة لا يتوقع أن هذه مناظرة علمية وحوار جاد في مسائل مختلف فيها، ولكنه الأدب العالي للحوار والمناظرة، ومن ينظر في رسائلهما يجد ذلك التقدير والاحترام في إلقاء التحية والمخاطبة بالعبارات اللائقة المهذبة وإظهار الفرح والسرور بحال الآخر والسؤال عن أحواله وعن أولاده والدعاء بصلاح الحال ودوام النعمة.

يقول الشيخ عبد الحليم محمود: "وكان بين الإمام مالك والإمام الليث مودة واحترام، يجلُّ كل منهما الآخر، ويقدره تقديرًا عظيما على الرغم من اختلافهما في بعض الأمور، ولقد تبادل مالك والليث رسالتين حفظهما التاريخ من أمتع الرسائل التي تبودلت بين كبار العلماء فيها تقدير متبادل وحسن بيان للرأي مع الأدب في التعبير وحرص على وضوح الفكرة في أسلوب موجز" (عبد الحليم محمود، ٥٣) (القطان، ٢٠٠١، ٣٤٩) (هاشم، ٢٠٢١، ٣١٦)

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تحرص التربية الإسلامية على ضرورة تربية طالب العلم علي:

- حب العلماء، وتقديرهم، والتواضع لهم، وطاعتهم والاعتراف بفضلهم.
- احترام أعضاء هيئة التدريس لبعضهم والبعد عن الحسد والغيرة المفرطة التي تؤدي إلى الكراهية وعدم حب الخير للآخرين، والانتقاص منهم وغمطهم حقوقهم، وغير ذلك من السلبيات والأمراض التي تنتشر في الأوساط العلمية وبين أعضاء هيئة التدريس والعلماء عامة في الجامعات والمراكز العلمية والكليات والمدارس، وتنعكس على طلبة العلم وعلى المجتمع.

خامسًا: ربط العلم بالمسئولية الاجتماعية وتشجيع المشاركة المجتمعية وغرس أهمية استخدام المعرفة لنفع المجتمع:

للعالم العامل بعلمه المتحلي بأخلاق العلم دور إيجابي كبير في المجتمع، إذ يستطيع بما أوتي من حكمة وما حمله الله من أمانة النصيحة أن ينصح الحاكم ويرشده إلى ما فيه مصلحة الأمة، وأن يوجهه إلى الخير بأسلوب حكيم، وأن يجعل الحاكم في صف العلماء لا ضدهم، ومع أمته لا ضدها، فيسعد به مجتمعه وأمنه، ويحظى برضاء ربه والناس من حوله، ويكون العالم بسلوكه هذا قد أدى مهمة عظيمة وقدم خدمة جليلة، دون أن يذل نفسه وعلمه، ودون أن يغضب خالفه عز وجل بتقصيره أو إهماله في أداء واجبه.

هكذا يكون دور العالم في المجتمع دور إيجابي يوجه الحكام والمحكومين إلى الصواب، ويحذرهم من الوقوع في المهالك، ولا يحصر مهمته في الشهرة وفي أن يتقدم على أقرانه، وفي أن يحظى بمكانة لدى الحاكم وإن جاءت على حساب علمه ودينه وأبناء مجتمعه. وهكذا كان سلوك كثير من العلماء في تقديرهم للعلم ورفعهم لشأنه وهو ما ينبغي أن يكون عليه سلوك العالم المسلم في كل زمان ومكان.

وقد كان علم الليث وفقهه مرتبطًا بواقع الناس وحياتهم، لم يكن علمًا نظريًا منعزلاً، فتاواه

وآراؤه كانت تعالج قضايا العصر، وسيرته وكرمه كانا تفاعلاً مباشرًا مع احتياجات المجتمع، لقد أظهر الإمام الليث كيف يمكن للعالم أن يكون مؤثرًا في مجتمعه، ناصحًا للحكام، معينًا للفقراء، مرشدًا للناس.

لم يقتصر دوره التربوي على طلابه، بل امتد ليشمل المجتمع بأسره، بما في ذلك الولاة والأمراء. كان يقدم النصح والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة. كانت له مكانة كبيرة عند الولاة، وكانوا يستشيرونه في أمور الرعية، فكان ينصح لهم بما فيه مصلحة الناس، وهذا يعكس مسؤوليته الاجتماعية ودوره كعالم رباني يسعى للإصلاح.

وقد أشرنا قبل ذلك عند الحديث عن أثر الأوضاع السياسية علي فكر الإمام السياسي علي جزء من دور الإمام الليث في خدمة مجتمعه فقد كانت له علاقات حميمة مع بعض الخلفاء والولاة سواء من الأمويين أو العباسيين، وأثمرت هذه العلاقات ثمرات طيبة أسهمت في تنظيم الحياة العامة في مصر آنذاك، وحظي بمكانة علمية سامية عند هؤلاء الخلفاء، فأصبح الرقيب الشرعي على الولاة والقضاء في مصر فلا يقضون بشيء إلا بمشورته، وإذا فعلوا ما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله – ﷺ – وعظهم، فإذا أصروا كاتب الخلفاء بذلك، فيأتي العزل عندئذ للمخالف، هذا هو الليث الذي أتته الدنيا وهي راغمه فرفضها، وولى ظهره لها، وجعلها مطية للدار الآخرة دار البقاء والخلود.(سليمان، ٢٠٢٣، ٥٦)

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على:

- تمكين المتعلمين من مستوى علمي معرفي يؤهلهم للاندماج الإيجابي في المجتمع والتفاعل معه.
- تنمية قدرات الناشئة على التواصل والاندماج في الجماعة عن طريق تقوية روح التسامح والحوار والانفتاح على الآخرين والثقة بالنفس، ومحاربة النزوع إلى التقوقع والعدوانية وروح التسلط، وذلك وفقا للقيم الإسلامية الداعية إلى التواضع والعفو والرحمة وكل الأخلاق الفاضلة، ومحاربة أضرارها في نفوس الناشئة.
- تنمية الاعتزاز بالروح الدينية والوطنية عن طريق الاطلاع على التراث الإسلامي والوطني من خلال سير رجالاته والإنتاج العلمي والتربوي لعظمائه، وربط ذلك التاريخ المجيد في صوره الإيجابية بمدى التفاعل الحاصل مع القيم الإسلامية الداعية إلى التضحية والإبداع والابتكار.
- غرس أهمية استخدام المعرفة في نفع المجتمع، والتأكيد على المسئولية الاجتماعية للعالم بحيث يشارك في التنمية المستدامة لمجتمعه والتصدي لقضاياه ومشكلاته.
- إرساء وتفعيل هذا المبدأ (المسؤولية الاجتماعية للعالم) على كل من ينتسب إلى العلم والعلماء وذلك بأن تجعله معيارا من معايير القبول وشرطا من الشروط الأساسية التي لا بد من توافرها فيمن يقبل أو ينتمي إلى المؤسسات العلمية بحيث يكون العالم نافعًا لوطنه ومجتمعه.
- تعزيز الوعي المجتمعي والبيئي لدى الطلاب؛ فالطالب عندما يدرك كيف يمكن للمعرفة العلمية أن تساهم في حل المشكلات البيئية كالتلوث، والاحتباس الحراري، وندرة المياه، وغير ذلك) أو المشكلات الاجتماعية كالفقر أو الأمية أو غير ذلك، فأنه يصبح أكثر استعداداً للمساهمة بإيجابية في حل هذه المشكلات.

سادسًا: التثبت وعدم التسرع في إصدار الأحكام ومراعاة الموضوعية والأمانة العلمية

تعد هذه القيم العلمية ذات أهمية محورية في البحث العلمي والحياة اليومية على حد سواء، وبتطبيقها عمليا فإنها تسهم في بناء شخصية نقدية، موضوعية، ومسؤولة لدى الطلاب، فعندما تنجح

العملية التعليمية في غرس هذه القيم في نفوس الطلاب فإنها تُعدهم ليس فقط للنجاح الأكاديمي؛ بل للحياة ككل، فيصبحوا أفراداً أكثر وعياً، ومفكرين نقديين، ومواطنين صالحين قادرين على اتخاذ قرارات مستنيرة في عالم يزداد تعقيدً وتدفقاً للمعلومات.

وقد اتضح من خلال الاطلاع علي رسائل الإمام الليث بن سعد مع الإمام مالك بن أنس تحلي الإمام الليث بهذه القيم، فقد وصلت إلي الإمام الليث كتب وفتاوى منسوبة إلى الإمام مالك، فأحب أن يتثبت من نسبتها، وأن يستوثق من صحتها، فأرسل إلى مالك في ذلك، فنظر فيها الإمام مالك وراجعها، وأصلح ما قد يكون فيها من أخطاء ناتجة عن النسخ، ثم ختمها بخاتمه معتمدا ما ورد فيها، لقد راجع الإمام مالك تلك الكتب في جلسة واحدة وفي وقت كان أحوج فيه إلى الراحة، وما دفعه إلى هذا الجهد في مراجعة الأوراق وتصحيحها وختمها بخاتمه وإرسالها مع نفس الرسول الذي جاء بها إلا ما كان في قلبه من محبة للإمام الليث ومكانة وحق له وحرمة حببت إليه المسارعة في قضاء حاجته.

ومن حسن خلق الإمام مالك أنه لا يرى في ذلك منة ومعروفًا صنعه للإمام الليث، بل يرى أن الليث أهل لذلك، وأنه يلزمه فعل ذلك بوازع الأخوة والمحبة والنصيحة يقول مالك: "وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها وأبعث بها إليك، وقد فعلت ذلك، وغيرت منها ما غيرت حتى صح أمرها على ما يجب، وختمت على كل(فنداق) أو(غنداق) (الفنداق: صحيفة الحساب)(ابن منظور ، ١٤١٤ه ،ج ١٠ ، ٣٢٤) (تاج العروس ، ٢٠٠١، ج ٢٣ ، ٣١٧) ، والغنداق : سجل إحصاء الأراضي (دوزي، د.ت ، ج٧ ، ٤٣٨) منها بخاتمي، ونقشه حسبي الله ونعم الوكيل وكان حبيبا إلى حفظك، وقضاء حاجتك، وأنت لذلك أهل، وصبرت لك نفسي في ساعة لم أكن أعرض فيها لأن أنجح ذلك، فتأتيك مع الذي جاءني بها حتى دفعتها إليه، وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني لك في حقك وحرمتك، وقد نشطني ما استطلعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت أن يكون لها عندك موضع ولم يكن منعني من ذلك قبل اليوم إلا أن يكون رأيي لم يزل فيك جميلا، إلا أنك لم تذاكرني شيئًا من هذا الأمر، ولا تكتب فيه إلي".

وقد تأثر الليث بذلك كثيرا، وبعث إلى مالك يشكره ويدعو الله له بالخير يقول الليث: "وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك وإقامته وإياها وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا، فجزاك الله عما قدمت منها خيرا، فإنها كتب انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها. وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندي موضع وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلا".

وعند النظر في رسالة الليث بن سعد إلي الامام مالك نجده يلتزم بالموضوع الأساسي، قاصداً له، مستدلا عليه بالنصوص الصريحة والحجج والأدلة والبراهين، ولم يخرج منه إلى موضوعات فرعية، وما ساقه من الأدلة والبراهين والأمثلة ما هي إلا استدلالات لرأيه في هذا الموضوع، وترى التوثيق العلمي في أعلى صوره، وذلك باستدلال الليث بأدلة ووقائع وأحداث لا يمكن إنكارها، ولا يمكن العدول عن وجه الاستشهاد بها. **(هاشم، ٢٠٢١، ٣٣٢).**

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على ضرورة تربية طالب العالم علي:

- الالتزام بالأمانة والموضوعية ونقل الكلام في سياقه الذي ورد فيه، وألا يجتزئ النصوص والأدلة من سياقاتها المختلفة ليختار منها ما يصلح له، ويدل على ما يريد، ويترك الباقي، فهذا ينافي الأمانة، بل على طالب العلم أن ينقل الكلام كاملا، وأن يأتي بجميع الأدلة والنصوص الواردة في مسألة بحثه ليستنبط منها الحكم الصحيح.
- المعرفة العلمية الدقيقة، ومحاربة كل أشكال تزييف المعرفة، فلا يستدل بشائعات أو ظنون أو أوهام استقرت في عقله بل يستدل بالنصوص الصحيحة والأدلة الصريحة

والبراهين الواضحة والإحصاءات الدقيقة الثابتة، فبراهين العلماء تستدل بحقائق علمية، وتوثق القول، بعيداً عن الظنون والأوهام والشائعات.

سابعًا: التعليم المستمر

إن ما يشهده العصر الحاضر من تضاعف المعارف والحجم الهائل من المعلومات يحتاج إلى وضع مفهوم التربية المستمرة موضع التطبيق، ولكن ذلك يحتاج إلى جهود كبيرة لاستيعابها، وطرق استخدامها، وهي محك التقدم في هذا العصر الذي يقوم على العقل وتوظيفه توظيفا جيداً، وظهور تكنولوجيا من نوع جديد خاصة بالإلكترونيات وأجهزة الحاسوب وقيام الشركات متعددة الجنسيات، وهذه الثورة لا يمكن استيعابها وخوض غمارها إلا إذا أحسن إعداد الأفراد تربويا وتعليما. (كايد، ٢٠٠٥، ١٨٥)

تعتبر تربية الأفراد من المهد إلى اللحد أحد مبادئ التعليم الهامة في الفكر الإسلامي فقد عمل المفكرون المسلمون على تجسيد ذلك في أرض الواقع، فعند التأمل في مسيرة الليث العلمية يتبين لنا أن طالب المعرفة لا يمكن أن يحد نفسه بفترة زمنية بعينها، وإنما هو ساع وراءها طالما ظلت أنفاسه تتردد وقلبه يخفق، وهو ما نسميه بمصطلح العصر الحاضر (التربية أو التعليم المستمر).

ومن هنا فإن الليث، بعد أن تخرج على العلماء لم يتوقف علمه عند هذا، بل سعى إلى تنميته وتطويره عن طريق الاتصال المستمر بعلماء عصره، سواء أكانوا فقهاء أم كانوا غير فقهاء، وكان ذلك من خلال:

الأول: اتصاله بالعلماء في موسم الحج ومناظراته وأخذه منهم، ومناقشاته معهم، وفي أوقات زيارة المدينة، فهو، على سبيل المثال، يلتقي بالإمام مالك ويتناظران في مناظرة علمية بريئة، وهو في هذه المناظرات والمراسلات يأخذ ويعطي.

الثاني: مجلسه العلمي الذي كان يلتقي فيه بالنابهين من العلماء المقيمين بالمدينة، سواء كانوا من أهلها أم من الوافدين عليها، واتخذوها مقامًا طلبًا للعلم والتثبت فيه، وكان هؤلاء يخصون الليث بالطلب، ومن ثم فنحن نرجح أنه كان يتحادث معهم فيما عندهم من الفقه.

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية علي:

- حث طلاب العلم علي مواصلة التعلم وطلب العلوم وتحصيلها منذ الصغر، باعتبار الإنسان عالم أو متعلما طوال حياته، انطلاقاً من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض المسلم على مواصلة تلقي العلم والاستمرار فيه ومنها قوله تعالى: (وقل رب زدني علما) (سورة طه، آية ١١٤) وقوله تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} (سورة الإسراء آية ٨٥).
- تكوين المهارات التي تسمح للطلاب بتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية التي تؤهلهم للتعلم الذاتي المستمر.
- دعم التعلم الذاتي، من خلال توفير الموارد والأدوات التي تُشجع الأفراد على التعلم الذاتي، مثل الكتب الإلكترونية، والمقالات العلمية، الفيديوهات التعليمية وغيرها.
- دمج التعلم المستمر في المؤسسات، فتحرص الشركات والمؤسسات على تشجيع موظفيها على التعلم المستمر، وتوفير الدعم اللازم لذلك، مثل الدورات التدريبية المدفوعة، أو وقت مخصص للتعلم.
- الاعتراف بالتعلم غير الرسمي، فتعمل على تطوير آليات للاعتراف بالمهارات والمعارف المكتسبة خارج الإطار التعليمي الرسمي مثل الشهادات المهنية، أو التقدير للخبرات المكتسبة.

ثامنًا: الاستقلال الفكري وتشجيع الفهم والاستنباط

يعد الاستقلال الفكري وتشجيع الفهم والاستنباط من الركائز الأساسية للتربية الحديثة، وتهدف إلى بناء شخصية قادرة على التفكير النقدي، واتخاذ القرارات المستنيرة، والمساهمة الفاعلة في المجتمع، وعند التأمل في حياة الليث بن سعد نجد أحد النماذج الفريدة التي اتسمت بالاستقلال الفكري والقدرة على الفهم والاستنباط، فقد اتصف بالاجتهاد واشتهر بالفتوي، وكان له مذهبه المستقل، مثله في ذلك مثل الائمة الأربعة وسائر فقهاء الأمصار، كالثوري والأوزاعي، والذي يتأمل آراءه يجده أحياناً يوافق مالكاً وأخري يخالفه، وكذلك بالنسبة لأبي حنيفة، فقد يتفقان وقد يختلفان. (عبد اللطيف، ٢٠٠٩، ج٤ ،١)

كما عرف الإمام الليث بعمق فهمه ودقة استنباطه، وكان يشجع تلاميذه على التفكر والتدبر وعدم الاكتفاء بالنقل والحفظ. يتضح ذلك من خلال مناقشاته العلمية واجتهاداته الفقهية التي تميزت بالاستقلالية وعدم التعصب لمذهب معين، وكانت علاقة الليث بن سعد بالإمام أبي حنيفة علاقة ود واحترام متبادل ولم يكن الليث حنفيا، أما علاقته بالإمام مالك فهي كما رأينا من خلال رسالته فهي علاقة الند بالند علاقة مذاكرة ومناصحة ومناظرة ولم يكن خلالها تابعا لمالك فلكل طريقته، وأسس مذهبه، ومنهجه الفقهي المستقل (محمود، ٢٠٢٠، ٢٨٧)

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية علي:

- الاهتمام بالأساليب التي تنمي العقل وتعود المتعلمين على التفكير والمقارنة والموازنة من الجزئيات واستنباط الأحكام والقواعد العامة من الجزئيات.
- التأكيد على التحليل النقدي للمعلومات وتنمية التفكير المستقل في المناهج التعليمية.
- إعادة الاعتبار لمفهوم التربية الشاملة، وتنمية روح التفكير الإبداعي، والمنطقي بهدف تعديل المسار في مجال الفكر التربوي الذي كان قائما على اجترار المعلومات، وحشو الأذهان.

تاسعًا: الاحتكام إلى المرجعية الإسلامية والارتكاز على القضايا المسلمة والمسائل المتفق عليها:

تبين من خلال مناظرة الإمام الليث بن سعد والإمام مالي بن أنس رضي الله عنهما وجود حد مشترك من النقاط المتفق عليها بين كل متناظرين يسلم بها الطرفان، فالمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق، ويُفضل البدء بالأمور المتفق عليها، مما يساعد على تقليل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين، وتجعل الحوار هادئًا هادفا، أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغير القلوب، ويثير التعصب والأهواء، فينبغي البدء بالنقاط المشتركة، لتحرير محل النزاع وتحديد نقاط الخلاف. (الشرقاوي،٢٠٢٠م، ١٣)

وانطلاقًا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية على ضرورة:

- أن نزن كل مسألة شرعية خلافية بميزان الشريعة، وأن نعرض ما يقال من الكلام في المطالب الشرعية على كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - فإن وافق الكتاب والسنة فهو حق يقبل وإن خالفهما فهو باطل يرد، وهذا مبدأ أساسي لا يختلف عليه أحد من الأئمة والعلماء.
- تربية طلاب العلم علي الاعتصام والاتحاد وعدم التفرق عند الاختلاف في قضية ما والبدء بالنقاط المتفق عليها عند الاختلاف وأن يعذر بعضهم بعضا في الأمور الظنية والمختلف عليها.

عاشرًا: السعي النشط للمعرفة

تعد الرحلة في طلب العلم من الطرائق التي شاعت في عهد الإمام الليث بن سعد، وكانت لها أهداف وغايات يقع على رأسها توثيق العلوم والوصول إلى مصادرها للتأكد من صحتها

والاطلاع على المستجدات العلمية في بلد آخر، ونقل علومهم وكتبهم إلى بلدانهم الأصلية لذلك كان للرحلة في طلب العلم تأثيرها الكبير في مختلف المجالات والجوانب، وخاصة الثقافية والعلمية والاجتماعية وفي العصر الحاضر لا زالت الرحلة في طلب العلم طريقة هامة في تحصيل العلوم، ومن الأمثلة عليها البعثات الدراسية لطلب العلم في الخارج، والسفر لتلقي تدريب معين أو المشاركة في المؤتمرات العلمية لتبادل المعلومات والمعارف والحصول على آخر المستجدات العلمية في تخصص ما.(كايد ، ٢٠٠ ، ٢٠١)

وعند التأمل في حياة الليث بن سعد، وطلبه العلم، والنظر في شيوخه وتلاميذه نري سعيه وشغفه في طلب العلم، يروي صاحب تاريخ بغداد ان الليث سمع علماء المصريين والحجازيين ..... وروي عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري وسعيد المقبري وأبي الزبير المكي ونافع مولي ابن عمر وعمرو ابن الحارث ويزيد بن أبي حبيب وعقيل بن خالد ويونس بن يزيد وعبد الرحمن بن خالد الفهمي وسعيد ابن أبي هلال، أما من حدثوا عنه فيذكر الخطيب البغدادي ما يلي: حدث عنه هشيم بن بشير وعطاف بن خالد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وأبو عبد الرحمن المقرئ وعبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن أبي مريم ويحي بن بكير وعبد الله بن صالح الجهني وعمرو ابن خالد وعبد الله بن يوسف، ويقول أيضا: وقدم بغداد وحدث بها، فروي عنه من أهلها: حجين بن المثني، ومنصور بن سلمة، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيي بن إسحاق البلخي، وشبابة بن سوار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد، ويقول صاحب النجوم الزاهرة: قال الذهبي "وحج سنة ثلاث عشرة ومائة فلقي عطاء ونافعا وابن أبي مليكة وأبا سعيد المقبري وأبا الزبير وابن شهاب فأكثر عنهم، ثم ذكر جماعة كثيرة ممن روي عنه ....." ص ٣٣ (محمود، عبد الحليم، ١٩٧٧، ٣٣)، (الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، س ١٣، ع ١٤٧).

وانطلاقا من هذا المبدأ التربوي تؤكد التربية الإسلامية علي:

- تنمية الروح العلمية لدى المتعلم، وتطبيق أساليب التعلم النشط التي تشجع على الفهم وتشجيع الطلاب على البحث من مصادر متنوعة.
- حرص المؤسسات التعليمية على توفير الرحلات العلمية وتشجيع برامج التبادل الثقافي، مع ضرورة تحصين الشباب بالقيم والأخلاق النبيلة قبل إيفادهم في بعثات دراسية للخارج لما في سفرهم إلى الخارج من خطورة عليهم من حيث إمكانية تأثرهم بمظاهر الانحلال فيها.
- المحافظة على الشخصية المصرية والإسلامية لتأكيد الذات، مع التأكيد على ضرورة الانفتاح على تجارب الأمم والشعوب الأخرى، والاستفادة من منجزاتها العلمية التي تفيد المسلمين.

بهذه الملامح، شكل الإمام الليث بن سعد منهجًا تربويًا متكاملاً، يجمع بين العمق العلمي، والسمو الأخلاقي، والفاعلية الاجتماعية، مستلهمًا ذلك كله من هدي الكتاب والسنة.

نتائج الدراسة:

توصلت إلى العديد من النتائج على النحو التالي:

- أثبتت نتائج الدراسة أن العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كان لها تأثير بالغ على حياة الليث بن سعد وعمله، فقد شكلت هذه العوامل تجاربه الشخصية، ونموه كعالم وفقيه بارز، وتأثيره الاجتماعي داخل المجتمع المصري، فقد لعب المناخ السياسي دورًا حاسمًا في تفاعلاته مع الحكام، وأثرت الحقائق الاقتصادية على مساعيه الخيرية، وشكلت الظروف الاجتماعية فهمه للعدالة والمساواة، وعززت البيئة الفكرية

النابضة بالحياة تطوره العلمي وظهور مدرسته الفقهية المتميزة، وستظل حياة الليث بن سعد مثالًا بليغًا على كيفية تشكيل حياة الأفراد والموروثات الفكرية من خلال التفاعل مع مختلف القوى المجتمعة.

- تؤكد الدراسة على أهمية تطبيق الأساليب الحوارية التي من شأنها خلق جو تواصل وحوار بين المعلمين والمتعلمين فتزداد الثقة والتفاعل بين الطرفين وتتعمق المعارف العلمية وترسخ في عقول المتعلمين بفعل الخبرة الكبيرة للمعلمين، وهذا ما يكسب المتعلمين أيضا المهارات الخطابية وفنون الإلقاء وعرض المعلومات والمعارف.
- تمثل رسائل الإمام الليث بن سعد مع الإمام مالك وثيقة تاريخية وعلمية وتربوية في كيفية إدارة الحوار العلمي بأدب واحترام.
- مثلت القدوة الركن الأساس في منهج الليث التربوي، حيث قدم نموذجا للعالم الذي يقرن العلم بالعمل، والمعرفة بالسلوك القويم، وقد تمثلت القدوة في شخصية الامام الليث من خلال عدة صفات منها: الكرم والسخاء حيث ضرب الإمام الليث أروع الأمثلة في تسخير المال لخدمة العلم والمجتمع وسيرته في هذا الباب تعتبر منهجًا تربويًا متكاملاً في العطاء وفعل الخير.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من المبادئ التربوية المستخلصة من فكر وحياة الليث ابن سعد أهمها:

١) التأكيد على الأخلاق والقيم في التعليم.
٢) التربية على أدب الحوار والمناظرة واحترام الاختلاف.
٣) دعم وتقدير المعلمين والباحثين.
٤) الحب والاحترام المتبادل والتناصح بين العلماء.
٥) ربط العلم بالمسئولية الاجتماعية.
٦) التثبت وعدم التسرع في إصدار الأحكام ومراعاة الموضوعية والأمانة العلمية.
٧) التأكيد على أهمية التعلم المستمر.
٨) الاستقلال الفكري وتشجيع الفهم والاستنباط.
٩) الاحتكام إلى المرجعية الإسلامية والارتكاز على القضية المسلم بها والمسائل المتفق عليها.
١٠) السعي النشط للمعرفة.

وقد اقترحت الدراسة مجموعة من التطبيقات التربوية من خلال هذه المبادئ يمكن الاستفادة منها في التطبيق التربوي المعاصر:

١) دمج القيم الأخلاقية في المناهج وتعزيز بيئة تعليمية داعمة لهذه القيم.
٢) تربية الطلاب على الالتزام بآداب الحوار والنقاش وأدب الخلاف.
٣) توفير بيئة تعليمية داعمة تهتم بالجوانب النفسية والاجتماعية للطلاب إلى جانب التحصيل العلمي.
٤) احترام هيئة التدريس لبعضهم البعض والبعد عن الحسد والغيرة المفرطة.
٥) غرس أهمية استخدام المعرفة في نفع المجتمع.
٦) التربية على الالتزام بالأمانة العلمية والموضوعية.
٧) التأكيد على التحليل النقدي للمعلومات وتنمية التفكير المستقل في المناهج.
٨) الاحتكام إلي المرجعية الإسلامية عند الاختلاف في الراي.
٩) حرص المؤسسات التعليمية على توفير الرحلات العلمية وتشجيع برامج التبادل

الثقافي.

توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يوصي الباحثان بما يلي:

- تشجيع المعلمين والمربين على استلهام مبادئ منهج الإمام الليث وتطبيقها في ممارساتهم التربوية اليومية.
- ضرورة توعية الأجيال خاصة الناشئة بأهمية التراث التربوي الإسلامي وكيفية الاستفادة منه في الواقع التربوي الإسلامي.
- تضمين دراسة المناهج التربوية للأئمة المسلمين ضمن مقررات أصول التربية وتاريخها في الجامعات الإسلامية.
- الاهتمام الفعلي بالبحث التربوي والعلمي وتقنياته المنهجية والاستفادة من أساليب البحث العلمي التي كان عليها العلماء المسلمين وخاصة استخدام القياس والاجتهاد والاستنباط لأثرها الهام في إثراء المناهج التعليمية.
- التركيز على بناء شخصية المعلم القدوة في برامج إعداد المعلمين وتدريبهم.
- ومن أجل الإسهام في حل المشكلات التي يواجهها الفكر التربوي في عصرنا الحاضر والتي تتمثل في إشكالية الأصالة والمعاصرة وتباين الآراء حولها يمكن الاستفادة من أفكار الإمام الليث على النحو التالي:
  - إعادة صياغة الفلسفة التربوية على أساس التراث الفكري الإسلامي وتصوراته للإنسان والكون والحياة، والمنشأ والمصير، بحيث تتضمن أهدافها تربية الفرد تربية إيمانية وفق النهج الإلهي ليتمكن من التخلص من الأزمة الراهنة.
  - وجود قواسم مشتركة في حقول المعرفة المختلفة المقدمة للطلاب تصب جميعها في الهدف الرئيس المتمثل في تعزيز وتقوية إيمان الفرد بالله، وإيجاد الفرد الذي يتقي الله في علمه ومعرفته، وأن تشمل هذه العلوم أبعاد النمو العقلي والانفعالي والجسمي والاجتماعي ويكون ذلك بتقديم ثقافة إسلامية في مختلف فروع المعرفة والتخصصات.
  - إعادة النظر في تصميم مناهج التعليم بحيث تتضمن محتوى وأنشطة ووسائل لهذا الهدف مستمدة من المصادر الأصيلة من أجل ربط الحاضر بالماضي وجعلها أصيلة المحتوى والهدف لهذه المناهج وبذلك يتحقق بناء الشخصية الإسلامية والهوية الذاتية.
  - الاهتمام بالانتقاء الكيفي للمعارف والمعلومات، وضرورة التأمل والتفكر قبل الأخذ والاقتباس مما لدى الآخرين والتي مثلت مشكلة كبيرة في مناهجنا التربوية في العصر الحاضر يسبب عدم توافق بعض ما تم نقله مع الموروث الثقافي.
  - ربط التعليم في المجتمع الإسلامي بالأصول والمصادر الإسلامية لربط الدين بواقع الحياة ومشكلاتها ومناشطها، وبذلك يمكن العودة إلى التربية الإسلامية بمفهومها الواسع والشامل والتي كانت مطبقة في فترات ازدهار الثقافة الإسلامية كما كان الحال في عصر الإمام الليث بن سعد، مع التأكيد على ضرورة شمول هذه التربية جميع العلوم الإنسانية والطبيعية والأنشطة التابعة للمجتمع الإسلامي.
- تشكيل لجان متخصصة لدراسة وتحليل التراث التربوي الإسلامي وتوضيحه بصورة مبسطة للنشء حتى لا يساء فهمه أو يترك المجال لمن يحرفونه أو يسيئون فهمه.

مقترحات الدراسة:

وتقترح الدراسة الحالية:

- إجراء المزيد من الدراسات المتعمقة حول الجوانب التربوية في حياة وفكر الأئمة

الأعلام كالإمام الليث؛ لتقديم نماذج تطبيقية للمربين والمعلمين.
- اجراء مزيد من الدراسات حول الفكر التربوي الإسلامي في فترات زمنية أخري واستخلاص المضامين والتطبيقات التربية التي يمكن الاستفادة بها في الواقع التربوي المعاصر.
- إجراء دراسة عن دور الليث بن سعد في حفظ الهوية الإسلامية والعربية في مصر (دراسة تربوية تاريخية).

وبعد؛

لقد كان الإمام الليث بن سعد (رحمه الله) من العلماء البارزين في سماء الحضارة الإسلامية، فلم يكن مجرد فقيه ومحدث؛ بل كان مربيًا وإنسانًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، جمع بين سعة العلم وعمق الفهم، وبين دقة الرواية وسلامة المنهج، وبين الورع والتقوى والكرم والسخاء.

إن منهجه التربوي القائم على القدوة الحسنة، ودعم المتعلمين، والحوار البناء، والجمع بين العلم والعمل، وربط المعرفة بالحياة، يمثل نبراسًا يمكن الاستضاءة به في مواجهة التحديات التربوية المعاصرة، لقد أثبت الليث أن التأثير الحقيقي لا يكمن فقط في حجم العلم الذي يحمله الإنسان، بل في كيفية تجسيد هذا العلم في سلوكه وتعامله، وفي الأثر الإيجابي الذي يتركه في نفوس طلابه ومجتمعه.

ورغم أن مذهبه الفقهي لم ينتشر كغيره، فإن إرثه العلمي والأخلاقي والتربوي ظل حيًا، تتناقله الأجيال عبر سيرته العطرة وشهادات الأئمة فيه، وتبقى دعوة الإمام الشافعي تتردد: "الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"، لتذكرنا بعظمة هذا الإمام الذي ربما لم ينل حقه الكامل من الدراسة والتحليل، خاصة في جوانبه التربوية والإنسانية الفريدة. رحم الله الإمام الليث بن سعد، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

مراجع الدراسة:

- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد،(١٩٩١م)، أعلام الموقعين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١.
- ابن حجر، العسقلاني، (١٩٨٧م)، الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية في مناقب الإمام الليث بن سعد، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط١، المطبعة الميرية ببولاق ، مصر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، (١٩٨٨ م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ج١.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، (١٩٩٢)، مقدمة ابن خلدون، بيروت، مكتبة لبنان.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (١٩٨٨م)، البداية والنهاية، تحقيق: على شيريدار، ط إحياء التراث العربي، ج ١٠.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (١٩٩٨م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (١٤١٤)، لسان العرب، ج٥، ١٠، ط٣، دار صادر، بيروت.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (١٩٨٤م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس وآخرون دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر دمشق، سوريا، ط١.ج٢٣، ٢٥، ٢٧.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (١٤٠٩ه)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٨، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي.
- آل عايش، عبد الله بن حلفان، (٢٠١٦)، الفكر التربوي عند حكيم الأمة: أبي الدرداء – رضي الله عنه –، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ع١٧٧.
- أمين، أحمد، (د ت)، ضحى الإسلام، ج٢، ط٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- الأنسي، أحمد أحمد علي، (٢٠١٥)، بعض المبادئ العلمية في الفكر التربوي الإسلامي في القرن الثاني الهجري وحاجة العلماء والمؤسسات العلمية المعاصرة إلى ممارستها، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، مج ١٢, ع٨.
- باوزير، سلوى أبو بكر (٢٠٢٠)، ملامح الفكر التربوي في القرنين الثاني والثالث الهجريين "دراسة تاريخية تحليلية"، بحث منشور، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، ع١٨٨، ج٤.
- البحيري، أحمد، الأزهري والمسلماني يحتفلان بإطلاق اسم الإمام الليث بن سعد على مسجد ماسبيرو نقلاً عن: https://www.almasryalyoum.com بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠٢٥
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، (٢٠٠٢م)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ج١٣.
- البغدادي، الخطيب، (١٩٨٣م)، الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع، الرياض، مكتبة المعارف.
- بن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، (١٩٩٢م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق، (١٩٩٧)، الفهرست، تحقيق، إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٢.
- بن حجر، أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد، (١٩٨٦)، توالى التأسيس بمعالي ابن إدريس الشافعي، تحقق: عبد القاضي، دار الكتب العلمية.
- بن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، (١٩٧١)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، (١٩٦٨م)، البيان والتبيين، بيروت، دار صعب.

- الجبوري، محمد خضير محمد، (٢٠١٨)، عمل أهل المدينة وأثره في الخلاف بين الإمام مالك والإمام الليث: دراسة فقهية وأصولية مقارنة: رسالة الليث بن سعد أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، الأردن.
- الحبلاني، سعود بن فرحان، (١٤٣٣هه) الإمام الليث بن سعد ومنهجه الفقهي، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.
- حسن، إبراهيم حسن (١٩٩٦)، تاريخ عمرو بن العاص، من سلسلة صفحات في تاريخ مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- الحفناوي، أحمد، (١٩٧٩م). الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية، المنصورة، دار قاسم للطباعة.
- حمزة، عبد اللطيف حمزة، (١٩٦٢)، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل، سلسلة أعلام العرب (١٢) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- حمور، السيد أحمد، (١٩٩٨م)، الدولة العباسية – العصر العباسي الأول عصر القوة والنفوذ والعمل سنة ١٣٢- ٣٣هـ، ط٣.
- الخطيب، محمد متولي، وآخرون، (١٩٩٥)، أصول التربية الإسلامية، الرياض، مكتبة الخريجي.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (٢٠٠٨)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
- الرازي، فخر الدين، (د ت)، لباب الإشارات والتنبيهات، مكتبة الكليات الأزهرية، نفرتيتي.
- رمضان، هويدا عبد العظيم، (١٩٩٤م)، المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رينهارت بيتر آن دوزي: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني مرتضي الزبيدي (٢٠٠١ م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢٣، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار الهداية.
- الزرقاني أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين الزرقاني، (١٩٩٦م)، شرح الزرقاني علي المواهب الدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية.
- زمزمي، عواطف أحمد، (٢٠٠٧)، التفكير الناقد، مكتبة الرشد، القاهرة.
- زيدان، جورجي، (١٩٥٨م). تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، دار الهلال.
- سليمان، أحمد على، (٢٠٢٣)، الإمام المجدد الليث بن سعد الفقيه والمحدث والإنسان، دار

رحمة كُتاب للنشر، القاهرة.
- سليمان، أحمد علي، (٢٠٢٣م)، الإمام المجدد الليث بن سعد الفقيه والمحدث والإنسان، دار رحمة كُتَاب للنشر والتوزيع، مصر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (١٩٦٧م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي.
- الشاعر، محمد فتحي. (١٩٩١م)، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف.
- الشريف، جميل بن شرف البركاتي، (٢٠١٢)، الفكر التربوي في القرن الثاني الهجري "دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية بالقاهرة، جامعة الأزهر.
- الشيال، جمال الدين (١٩٦٦)، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة.
- صقر، فاطمة محمد منصور، (٢٠٢١)، رسائل الإمامين الليث بن سعد ومالك بن أنس: دراسة في القضايا والمنهج، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم - كلية الآداب، فاطمة محمد منصور محمد، مج ١٣, ع٢.
- الطويل، توفيق (١٩٦٨)، العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي، القاهرة، دار النهضة العربية.
- عايض، محمد بن عايض (٢٠١٩م)، ملامح تطور الفكر التربوي الإسلامي في القرن الثاني الهجري، بحث منشور، مجلة البحث العلمي في التربية، ع ٢٠.
- عبد الرحمن الشرقاوي، (٢٠٢٠م)، أئمة الفقه التسعة، دار الشروق، القاهرة.
- عبد اللطيف، رجب، (٢٠٠٩)، الإمام الليث بن سعد لمحات من حياته وفقهه، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ٥٣، ع ٥، ٧.
- عثمان، محمد عبد الستار، (١٩٨٨م)، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- العمايرة، محمد حسن،(٢٠٠٢)، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، عمان، دار المسيرة.
- عويس، عبد الحليم، (١٩٨٧م)، بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية.
- عياض، عياض بن موسي بن عياض، (١٩٦٥)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، تحقيق: أحمد الطنجي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب.

- الفارابي، عبد اللطيف وآخرون، (١٩٩٤م)، معجم علوم التربية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح.
- الفهد، نورة بنت فهد بن صالح، (٢٠٢٣)، الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن صالح العثيمين وتطبيقاته في العملية التعليمية، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، ع٣٥.
- فوزي، عمر فاروق، (٢٠٠٩م)، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- الفيومي، أحمد المقري الفيومي (١٩٨٧): المصباح المنير، ط ٢، مادة الفكر"، بيروت، المكتبة العلمية.
- القحطاني، عبد السلام بن عايض بن مربع، (٢٠٢٤)، ملامح الفكر التربوي عند العز بن عبد السلام، مجلة جامعة الملك عبد العزيز العلوم التربوية والنفسية، مج ٣، ع ٤.
- كايد، سليمان تكروري محمد (٢٠٠٥)، الفكر التربوي عند الامام بن عبد البر الأندلسي، رسالة دكتوراه، قسم أصول التربية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- الكندري، لطيفة حسين وآخرون، (٢٠١٠)، المضامين التربوية لفكر الإمام الشافعي في ضوء المعطيات المعاصرة، جامعة سوهاج - المجلة التربوية، الكويت، ع ٢٨ يوليو.
- الكندي أبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب، (٢٠٠٣م)، تاريخ ولاة مصر وقضاتها، تحقيق: محمد حسن محمد حسن أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
- المحاسبي، أبي عبد الله الحارث بن أسد، (١٩٨٦م)، الوصايا، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- محمود، عباس إبراهيم أحمد، (٢٠٢٠)، القواعد الأصولية التي اعتمدها الليث بن سعد في رسالته للإمام مالك: دراسة أصولية تطبيقية، مجلة الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف، جامعة الأزهر، ع ٢٢، ج١.
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي (١٩٨٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- هاشم، عبد العزيز سيد، (٢٠٢١م)، أدب الحوار والمناظرة في رسالة الليث بن سعد إلي مالك بن أنس، بحوث عربية في مجالات التربية النوعية، ع٢٤.
- الهاشمي، أبو عبد الله محمد بن منيع، (١٩٦٨)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٧.